

مطبوعات كتابى
يصدرها
حلمى مراد
قاتل.. بلا أجر!
أحدث ماكتب الأديب العالمى المعاصر
اوچين يونسكو

أوچين يونسكو

قاتل بلا أجر



TUEUR SANS GAGES

par

EUGENE IONESCO

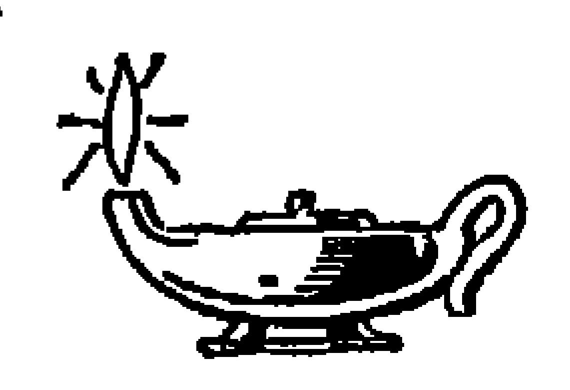
الثمن ١٢ قرشا

مطبوعات

كتابي

الترجمة الكاملة لشوامخ الكتب العالمية

يصدرها : حلمى مراد



الكتاب السبعون

قاتل بلا أجر

ترجمة : الدكتور أنور لوقا

مدرس الأدب الفرنسى بكلية آداب عين شمس

الادارة : عمارة الجندول ــ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ــ بالقاهرة

تليفون ٥٩٥٥٦ ، ٤٦٤٧٥

مجموعة كتابى

(الكتاب الشهرى لتلخيص الكتب العالمية)

• تطلب الأعداد السابقة من كل من المجموعتين من :

صدر منها ستة وتسعون كتابا ، يضاف اليهـــا كتاب جـــديد فى أول كل شهر •

مطبوعات كتابى

(الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية)

صدر منهـــا تسعة وستون كتابا ، ومجلدان خارج السلسلة يحتويان على الترجمة الـكاملة لقصـــة « دكتور جيفاجو » ، وتطلب قائمة بأسماء الـكتب جميعا من الادارة •

الاشتراكات

ادارة « كتابى » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو (فؤاد سابقا) بالقاهرة

• الاشتراكات عن ١٢ عددا من كتابى فى ج٠ع٠م والسودان والمملـكة السـعودية والأردن ولبنان وليبيا والعراق ١٤٠ قرشا سـنويا خالصـة أجر البريد المسجل ، وما عداها من البـــلاد العربية الأخرى والبـــلاد الأجنبية فالاشتراك السنوى ١٨٠ قرشا سنويا خالصة أجر البريد المسجل •

ولمن شاء أن ترســـل له الأعـداد بالبريد الجـــوى المسجل ، أن يدفع فرق الرسوم •

• ترســـل قيمة الأعــداد والاشتراكات فى مصر باذن بريد عادى • وللمشتركين فى البـــلاد الأخرى أن يرسلوا القيمة بشيك على أحـــد بنوك القـاهرة ، أو تحويلات مصرفية ، أو كوبونات بريد دولية فئـة ٤٠ مليما ، على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر • علما بأن سعرها فى مصر ٣٧ مليما • ومن الممكن لمن فى الســـودان ارسال القيمة بحـــوالة بريدية •

كيف نفهم مسرح يونسكو؟

مقـــدمة بقلم

الدكتور أنور لوقا

هذا كاتب يكره المسرح ، ويسخر منه ، ويناصبه العداء ، فيسجل تاريخ الأدب اسمه بين « أعلام المسرح المعاصر » ! والحق أن تاريخ الأدب لم يفتح أبوابه المنيعة لهذا الكاتب عن رضى واقتناع ، بل انه هو الذى ظل يقرعها حتى اهتزت ، فاقتحمها اقتحاما ، وسط هالة من الهرج والصخب ..

لقد أثار مسرح « أوجين يونسكو » ضجة كبرى ، بلغتنا أخيرا أصداؤها التى ترددت فى جميع انحاء العالم المتحضر . ومازالت تتبارى فى تمثيل نصوصه الغريبة — وقد ترجمت الى مختلف اللغات — أهم الفرق المعروفة فى عواصم أوروبا وامريكا . وتعلقت بأعمال « يونسكو » أنظار المشتغلين بالمسرح . ومعظمهم يتوسم فيها تجديدا خليقا بأن يبعث الحياة فى فن كاد يشمله الركود . **ومهما اختلف النقاد فى تقدير « يونسكو » ، فلا جدال فى أنه أديب متحرر ، شديد الجرأة واسع الثقـــافة** ، يتفهم — من ناحيـة — جوهر المسرح ومبادئه ، ويستوحى من ناحية أخرى ما آل اليـه الانسان فى أوضاع العالم الراهن .

من هنا نبدأ

ويعتز « أوجين يونسكو » بعمل له عاد الى الاهتمام به أكثر من مرة . انها فكرة تلح عليه ، صاغها سنة ١٩٥٥ فى قالب قصة قصـيرة جعل عنوانهـــا « **صورة الكولونيل**

« La Photo du Colonel » ، ونشرها فى « المجلة الفرنسية الجديدة » ، ثم حولها الى مسرحية من ثلاثة فصول ، فرغ من تأليفها أثناء صيف سنة ١٩٥٧ فى لندن ، وغير عنوانها الى « **قاتل بلا أجر** Tueur sans Gages » . وها هو ذا يصدر فى باريس سنة ١٩٦٢ مجموعة من قصصه القصيرة فى مجلد واحد ، فيضع على رأسها « صورة الكولونيل » ، ويحتفظ ب « صورة الكولونيل » عنوانا للمجموعة كلها . ولا شك فى أن هذا العمل الذى بدأ موجزا ، ونما شيئا فشيئا فى عقل الفنان وقلبه ، وظل يلاحقه سبعة أعوام على الاقل ، عمل أثير ، ذو جذور عميقة ، ومكانة خاصة . **ولعلنا نستطيع من خلال دراسته ، وتتبع دلالاته الاصيلة ، ان ندلف الى دنيا « يونسكو » ، وأن نتبين معانيها ، ووسائله فى التعبير عنها .**

لذلك نقلنا الى العربية مسرحية « قاتل بلا أجر » . وسنحاول ونحن نستعرضها فى الصفحات التالية أن نتخذ منها مدخلا الى أدب « يونسكو » .

لقد اشتهر هذا الأدب بالغموض والاغراب ، وتضاربت فى تأويله الآراء ، أما « يونسكو » نفسه فيزعم أن مسرحه « **بسيط جدا ، سهل الفهم جدا ، منظور يدركه البصر ، بدائى ، صبيانى ، لا يتطلب الا التخلص من بعض العادات الفكرية** » . وفى الشطر الأخير من عبارته تكمن مشاكل هذا السهل « الممتنع » !

زعيم مغمور

ومسرح « يونسكو » الذى نتحدث عنه اليوم ــ بمناسبة تمثيل مسرحية « الكراسى » فى « مسرح الجيب » ــ ليس وليد السنوات القليلة الماضية التى شهدت بزوغه العالمى

المباغت ، عندما أخرج ((**أورسون ويلز**)) فى لندن مسرحية « الخرتيت Rhinocéros » وأخرجها فى باريس ((**جان لوى بارو**)) فى سنة ١٩٦٠ — وقد نشبت يومئذ حول هذه المسرحية الناجحة معارك نقدية عنيفة — **وانما الواقع ان يونسكو يكتب للمسرح منذ سنة ١٩٥٠ ، ولكنه لم يحظ — قبل سنة ١٩٥٥ — باقبال الجمهور على تمثيلياته ، واختصام النقاد فى شأنها ، وتهافت الناشرين على كتبه ومقالاته !**

وكانت مسرحيته الاولى — وعنوانها « المطربة الصلعاء La Cantatrice Chauve » — قد مثلت على خشبة مسرح متواضع بالحى اللاتينى فى باريس ، أمام قاعة خالية من النظارة تقريبا . وباءت بنفس المصير مسرحياته القصيرة التالية . ذلك أن أذهان العامة — بل وأذهان الخاصة أيضا — لم تكن مهيأة بعد لقبول كل ما طلع به « يونسكو » من تجديد بدا اذ ذاك خلطا واسرافا وعبثا ، لشدة خروجه على المألوف . غير أن « يونسكو » ثبت لهذا الفشل ثبات الفنان الصادق . وقدم المحاولة اثر المحاولة لفئة قليلة من الشباب انصرفت عن الأدب التقليدى ، والتفت حوله وحول زملائه من المجددين — ولا سيما « هنرى بيشيت » و « أرتور أداموف » و « صامويل بيكيت » — وهكذا نشأت الحركة المعروفة « بمسرح الطليعة » .

مع ((يونسكو)) فى باريس

وأذكر « أوجين يونسكو » فى هذا الطور . كنا نلقاه فى تلك الندوات الصغيرة التى تلتئم على موعد أو غير موعد ، فى صفوف مسارح « النوكتامبول » و « الهوشيت » ثم

« بابليون » ، وهى قاعات منزوية فى دروب الحى اللاتينى ، لاتكاد أبوابها تجتذب الداخلين ، رغم اللافتات التى تعلن عن تمثيل أكثر من مسرحية واحدة فى الليلة الواحدة ، وتطلق على ذلك اسم « مهرجان الطليعة » . **وكان يونسكو دائما هناك ، وهو — برأسه الأصلع ، وجبهته العريضة المفكرة ، وعينيه الجادتين ، وصوته الهادىء — صورة للمثقف المخلص الذى يبحث عن المعانى والقيم ، ويفتح الافق واسعا للجدل . وكان وجهه المتسائل يحمل فى أكثر الأحيان علائم عناء دفين ، خلعها عليه كدح الذهن أو إرهاق السهر .**

وأذكر أنه راح فى تلك الحقبة يستعين على العمل المثمر بتعاطى حبوب « جلوتاميك أسيد » التى شاع فى الصحف أنها تشحذ البديهة وتنبه ملكات العقل . ولابد أنه كان فى ذلك أيضا باحثا حسن النية — مثل بطله « بيرانجيه » — يريد أن يجرب تجربة جديدة ، وهو يقول لنا فى صراحة ساخرة : « هذا دواء يجلب العبقرية ! »

وبصفاته تلك التى جمعت جلد المثابرة ولذع التهكم ، وحب الاستزادة خلال الحياة وخلال الكتب من المعارف النفسية والفنية والانسانية ، كنا نحسب « يونسكو » واحدا منا معشر طلبة الدراسات العليا العاكفين فى « دار الكتب » بباريس على مراجع أبحاثنا ورسائلنا . لقد كان فى تلك الجلسات يقرأ بجد مؤلفات الأديب الهازل « ألفريد جارى » الذى تحدى جمود المسرح فى آخر القرن الماضى . وقربنا من « يونسكو » أنه يتكلم مثلنا ويكتب فرنسية « مكتسبة » ، ليست لغتنا الأصلية ، وانما اتخذناها فى الحى اللاتينى والمدينة الجامعية عجلة مشتركة لأفكارنا وتعبيرا طيعا عن ذوات أنفسنا .

ومن ندوة الى ندوة ، ومن مقال الى مقال ، ومن مسرحية الى مسرحية ، نمت تجارب « يونسكو » ، وتبلورت آراؤه ، واسترعت اهتمام المحترفين والهواة فى فرنسا وفى مؤتمرات المسرح الدولية . ومالت « جرأته » الى الاعتدال ، فى السنوات الأخيرة — عن قدرة وتمكن — فأصبح يسيغ فنه جمهور أكبر .

تطور « يونسكو » : من الهدم الى البناء

و « **أوجين يونسكو** » رومانى الأصل . ولد بمدينة (سلاتينا) سنة ١٩١٢ . ودرس الآداب بجامعة بوخارست ، ثم اشتغل فى بلاده بتدريس اللغة الفرنسية وبالنقد الأدبى . وكان قبل ذلك — فى صدر شبابه — ينظم الشعر ، متأثرا بالشاعر البلجيكى « مترلينك » والشاعر الفرنسى « فرنسيس جام » والمدرسة السيريالية . غير أنه اشتهر كناقد ، واتبع فى مقالاته منهجا عقليا مستقلا ، استخدمه فى تحليل العمل الفنى تارة لمدحه وتمجيده ، وفى تحليل العمل الفنى نفسه تارة أخرى لهدمه وذمه ، مما أغضب عليه كبار الأدباء والمتشيعين لهم . وانتهى الى بحث طريف نشره هناك فى « تطابق الأضداد » . **ثم نزح الى فرنسا سنة ١٩٣٨ ، حيث اتصل بالصحافة والثقافة ، وخاصة بمجلات المفكرين المتطلعين الى قيم جديدة .**

ومنذ اتجه « يونسكو » الى المسرح ، تدل أعماله المتعاقبة — التى طبع معظمها أخيرا فى أكثر من مجلدين — على نضج مطرد . لقد بدأ بمرحلة سلبية ، هاجم فيها قواعد المسرح المتبعة ، فحطم الشخصيات وفتتها — وكان عهدنا بها أنها ذات وحدة نفسية وخلائق متماسكة — واهمل عنصر القصة ، وقلب منطق الواقع رأسا على عقب . وتلك مرحلة تمثيلياته

القصيرة الغريبة : « المطربة الصلعاء » ، « الكراسى » ، « ضحايا الواجب » ، « الدرس » ، « كيف نتخلص من ذلك » .. الخ . **غير أنه انتهى من هذه التجارب الأولى — تجارب ((تقويض المسرح)) (Antithéâtre) — الى مرحلة ايجابية وسع فيها رقعة ((الواقع)) الذى يحق لفن المسرح أن يقدمه ، حتى يشتمل هذا الواقع على الظاهر وغير الظاهر من جوانب الانسان فى آن واحد** . وذلك باضافة مجالات الخواطر الطليقة والأحلام الشاردة الى مجال العالم المادى الخارجى الضيق ، الذى تحده أسوار الحس والعقل . وربما كان انتقال « يونسكو » من الهدم الى البناء هو الذى جذب اليه أخيرا أصحاب المسارح الممتازة وروادها فى مختلف أنحاء العالم .

مسرحيته ((الطويلة)) الأولى

ومسرحية « قاتل بلا أجر » تنتمى الى هذه المرحلة الايجابية من أعمال « يونسكو » . انها مسرحيته «الطويلة» الأولى . وهو يمعن هنا فى استخدام وسائله الفنية التى أتقن تصريفها فيما سبق من مسرحياته الصغيرة .. فيحشد عددا أكبر من الشخصيات ، ويعرض مزيدا من الأحداث والمناظر ، ويحرك أبطاله أمام لوحات بصرية وسمعية أبعد آمادا وأوضح . ولكنه رغم ذلك يرفض — كما رفض من قبل — تلك « الواقعية المباشرة » ، ولا يلتقط من الواقع التقليدى غير التفاصيل التى تكشف ما يدور فى « شعور » شخصياته .

قصة ((قاتل بلا أجر))

وأول ما يتيسر لنا أن نعرفه من مقومات هذه المسرحية هو عنصر القصة بلا شك . فعلى هذا النحو قد درجنا فى

تناول المسرحيات . **ولكن القصة الخلابة ، الجيدةالصنعة ، المحكمة الملابسات و ((الحبكة)) ، ليست هى ما يصبو اليه يونسكو فى تأليف مسرحياته . فقد انتهى عهد تلهية الناس بالقصص الملفقة . وما عادت المسرحية تستمد قيمة مضمونها من اثارة التشويق ، ومن براعة المؤلف فى التلاعب باعصاب الجمهور** . ولا تختلف مسرحية « قاتل بلا أجر » عن قصة « صورة الكولونيل » فى سياقها قط . انها تقدم نفس المواقف ، ونفس الأشخاص ، وتستعيد ما ورد بينهم من أجزاء الحوار ، ولا تكاد تزيد على هـــذه المادة الا ما تقتضيه مسرحية متكاملة ، تحمل المعانى المقصودة الى أقصى غاياتها . وسنرى فيما يلى أننا ازاء قصة بوليسية عادية : بل حكاية مبتذلة ، أبسط من القصص البوليسية العادية :

"أمامنا فتى يدعى « بيرانجيه » ، من أهل مدينة قاتمة مزدحمة ، يزور ذات يوم احدى ضواحيها ، وهى مستعمرة سكنية مشرقة ، بنيت على أحدث النظم العلمية ، فيعجبه جوها الصحى ويسحره جمال عمارتها ، ويتوق الى العيش فيها ليتمتع بأرقى وسائل الراحة والترف . ولكنه سرعان ما يفر من تلك « المدينة المنيرة » قبل أن يستكمل زيارتها ! فقد شهد زجاج نوافذها يتهشم ، ولاحظ أن سكانها قـد هجـروها ، وكاد يصيبه أكثر من حجـر ألقى عليه وهو فى صحبة المهندس الذى يتولى ادارتها ، والذى لا يلبث حتى ينبئه بأن قاتلا مجهولا قد اندس ينشر الرعب فى هذا الحى الأنيق !

ولقد دأب ذلك القاتل المستخفى على استدراج النـاس ـ من رجال ونساء وأطفال أبرياء ـ الى حوض بديع هناك ، حتى اذا أشرفوا على ضفته أخرج من جيبه سرا صـورة ضابط جذابة ، فى زى المقدم (كولونيل) ، يغريهم بالنظر

اليها ثم يدفعهم فجأة الى الماء فيغرقهم !.. **وتثور ثائرة « بيرانجيه » الطيب على هذا التجنى المتصل ، لاسيما وقد سارع السفاح الى اغتيال ضحية جديدة هى الفتاة «دانى» (سكرتيرة المهندس الحسناء التى أراد بيرانجيه حين رآها لأول وهلة أن يخطبها وأن يتزوجها !)** .. ويقرر «بيرانجيه» ان يتولى البحث عن القاتل ، وأن يعاون رجال الشرطة فى القاء القبض عليه لانقاذ الناس من شره الذى استفحل .. وكان رئيس الشرطة قد اظهر تهاونا يشبه التواطؤ ، وتذرع ببطء الاجراءات دفاعا عن الأمر الواقع .

واذ يعود « بيرانجيه » فى ذلك اليوم الى غرفته ، يدهشه أن يجد فيها صديقه « ادوار » ، بل ويدهشه أن يجد فى حقيبة « ادوار » أدوات السفاح وصوره واوراقه . على أن هذا الاكتشاف يحفز عزيمته ، ويضاعف حماسه ، فيصر — رغم تقاعس صديقه — على أن يمضى ليضع هذه الوثائق بين أيدى رجال الشرطة قبل مغرب اليوم نفسه ، درءا لما يبيته السفاح من جرائم القتل المدونة فى مفكرته !.. وينطلق « بيرانجيه » ، الا أن رجال الشرطة — المنهمكين فى تنظيم المرور بعد تفريق مظاهرة سياسية — يسدون عليه السبيل ويضيعون وقته .. كما يخذله صديقه « ادوار » الذى نسى الحقيبة فى الحجرة عند انصرافهما ، ثم تكلف الرجوع ليعود بها ولكنه لا يعود . وها هو ذا بيرانجيه يمشى وحده فى طريق طويل موحش ، يغالب الخوف ، ويتردد ، ثم يدفع نفسه الى الأمام دفعا ، **حتى يطلع عليه السفاح فجأة وكأنه يتربص له !**

أما السفاح فلا ينطق بكلمة ولا يكاد يتحرك . وازاء صمته واستخفافه وتحديه ، يتكلم بيرانجيه ، فهو يريد قبل كل شىء أن يستجوب هذا المجرم — عدو السعادة اللدود — لينفذ الى سر حقده على المجتمع . ويسترسل بطلنا الشهم

فى خطابه ، مستعرضا شتى الأسباب والاحتمالات والشعارات، فلا يجيبه السفاح فى نهاية كل فقرة الا بضحكة صفراء خبيثة . ان بيرانجيه يجهد فى اقناع القاتل العنيد بالعدول عن الشر ، فيحدثه ويحدثه ، وينتقل من موضوع الى موضوع ، ومن حجة الى حجة . واذا بحديثه المنفرد — الذى لايصل الى عقل السفاح ولا يمس قلبه — خليط مفكك من صيحات الفلسفات الأخلاقية المعروفة ، كما تتردد أصداؤها خاطفة مضطربة مهزوزة فى نفوس هذا الجيل .. هذا الجيل المترنح ، الذى عصفت به الدعايات المختلفة ، وتجاذبته تياراتها الى اليمين حينا والى اليسار حينا ، باسم المبادىء العليا دائما ! وبعد أن ينضب معين البطل من عبارات محفوظة مشوشة مبتذلة ، يتزايد — وهو لا يدرى — تناقضها وضعفها من لحظة الى أخرى : نرى السفاح يقترب منه شاهرا سكينه ، وينسدل الستار .

البحث عن المعانى : القتل .. والأجرة ..

وتبدو لنا هذه المسرحية واضحة سهلة اذا اقتصرنا على تتبع خطوطها الرئيسية من الظاهر . ولكن الأحداث — كما أسلفنا — ليست غاية المسرحية عند يونسكو ، وانما هى مجرد اطار مفتوح تتوافد عليه المعانى والتفاصيل والصور الكثيرة التى تدعونا الى التأمل .

واعترف بأن عنوان هذه المسرحية « قاتل بلا أجر » قد ضللنى أول الأمر — قبل أن أشاهد تمثيلها كما أخرجها فى باريس « جوزيه كاليو » — فلقد تداعت خواطرى الى قصة للكاتب الانجليزى ((**جراهام جرين**)) عنوانها ((**قاتل بالأجرة**)) ، نلمس فيها نهاية قصوى من الفساد والخزى هبطت اليها البشرية ، حيث رجل بلا ضمير — هو السيد

« تشولموندى » ـ يكترى مجرما محترفا ليقتل له شخصا ، ثم ينقده على جرمه هذا أجره المعلوم ، فاذا الأجر أوراق مالية مزيفة .. وهكذا يدور الباغى فى حلقة الاثم المفرغة . وظننت ان يونسكو يريد أن « يعارض » جراهام جرين بمسرحية لاذعة تعيد الى قراء اليوم ذكرى « نقائض » الشعراء القدامى . ولكن يونسكو فى مسرحيته لا يشير قط الى قصة « جراهام جرين » ، ولا يناظر قاتلا مأجورا بقاتل غير مأجور ، بل يقدم لنا عملا مستقلا أصيلا ، أطلق عليه فى البداية ـ كما رأينا ـ عنوانا آخر : «صورة الكولونيل» .

ولعل فكرة يونسكو أعم وأعمق . **فبطله ((بيرانجيه)) هو انسان العالم المعاصر ، نتاج الديمقراطيات المختلفة التى تفتق عنها القرن العشرون فى الدول المختلفة . هو المواطن العادى بأوجه قوته وضعفه ، وبتفاعله مع نفسه ومع بيئته** . انه الفرد الذى باسمه تبذل الوعود للشعب ، وعلى كاهله تثقل الواجبات ، ومن تضحياته للمجتمع تنتظر بحق ثمار الرخاء والعدل والرفاهية . لقد خلق بداهة للحياة ؛ أى ليعيش وليسعد . فهل أتيح له أن يعيش وأن يسعد فى « المدينة المنيرة » ؟ ما أروع تطبيقات العلم التى غمرت بفنون من المتعة حاجاتنا ! أليست طوع أيدينا آلات قادرة ، تتحكم فى الطبيعة وتخضعها لرغباتنا ؟ ان الطاقات الكهربائية والذرية .. وسائر ما تحركه من مخترعات الفكر البشرى العجيبة ، كادت تحول أرضنا الى فردوس . فما بالنا مع ذلك نقيم ـ مثل بيرانجيه ـ فى ظلام وبرد وتعب وحرمان ؟ **ومن هو هذا القاتل الخبيث الذى تسلل الى ربوعنا الجديدة ، يلاحقنا بالكيد والايذاء ، حتى لنهجر هذا الحى البديع الذى توفرت لنا فيه أسباب اجمل حياة .. ماعدا الحياة نفسها ؟**

تساؤل مرير اذن عن جرثومة الشر التى تدب فى صميم

حضارة الانسان ، وتدفعه الى القتل والعدم ، الى الحرب والفناء . رغم كل ما وصل اليه ذكاء الأجيال من رقى علمى ومادى . ما سر شقاء هذا الانسان ، وهو الذى أوتى الآن جميع وسائل السعادة ؟ ولماذا يعيث فساداً فى وجودنا ذلك السفاح الرمزى ؟ انه مخلوق هزيل البنية ، ولكنه كتلة صماء من البغض والنقمة . **والغريب أنه يخرب البيوت ، ويفتك بالوادعين ، ويزهق الأرواح ، لا للفوز بمغنم شخصى، ولا لتحقيق غرض عام ، ولا لشيء مفهوم على الاطلاق** . وانما هو يغدر ويهدد ويتمادى فى الاعتداء . ولا تفعل سلطات الأمن الا أن تحصى جرائمه بعد وقوعها .. فاذا تصدى له الانسان العادى بقلبه الطيب وملكاته القاصرة ، لم يجد سلاحا يواجهه به سوى حصيلة عاطفية جوفاء من كلام الوعظ المعاد ، ومسدسين عاجزين فى يديه من طراز عتيق !

وربما كان للقتل فى هذه المسرحية معنيان : معنى قريب يشير الى شبح الحرب ، الذى لا ينقطع عن تهديد البشرية بالدمار . وهنا يطلق يونسكو صرخة احتجاج مدوية ، تفضح مجرمى الحرب ، وتجلوهم للعيان فى صورة قتلة بلا أجر ، ينفقون جهودهم فى تدبير أفعال لا غناء فيها لهم ولا لغيرهم .. ويدمغ الحرب بأنها جنون ، وتجسيم لتناقض عقلى ، واثم باطل لا يستطيع منطق سليم أن يبرره !

وأما المعنى الثانى للقتل ، فهو معنى فلسفى أبعد ، معنى الموت بمضمونه الواسع .. الموت الذى يتربص للانسان فى طريقه ، وينهشه فى عقر داره ، وينتزعه من أرضه التى يحبها ويجملها ويجعلها محط آماله . الموت الذى يتسرب الى اللذة فيحيلها ألما ، والى السعادة فيقوض أركانها ، ولا مناص لامرىء من لدغه عاجلا أو آجلا . وهل فى قدرة الانسان المجبول من تراب — مهما اعتمد على العلم ومهما فجر من ينابيع المادة — أن يفلت من قبضة الموت ، وأن يدرك الخلود ؟

ان فكرة الموت تسيطر على يونسكو . كان عنوان الرسالة التى أراد يوما أن ينال بها درجة الدكتوراه فى الآداب من جامعة باريس ، ولكنه انصرف عن كتابتها : « الموت فى الشعر الفرنسى » . ونحن نكاد نصطدم بالموت فى جميع مسرحياته ؛ حيث تقع حادثة قتل أو تصادفنا جثة !. . ولا أدل على ذلك من مسرحيته الأخيرة التى مثلت سنة ١٩٦٣ : «الملك يحتضر» . والموت فى « قاتل بلا أجر » هو موضوع المسرحية الأساسى ، يخترقها منذ العنوان الى المشهد الأخير ، فى جو من التأزم التصاعدى . والموت هنا لا يتمثل فى ضحايا السفاح العديدة فحسب ، ولا يتقمصه فقط هذا القاتل الخفى الذى لا نراه الا فى النهاية ، بل ان الموت يظهر بهيئة مريبة فى شخصية « ادوار » أيضا . ادوار الذى يدلف الى غرفة بيرانجيه دون علمه ، ادوار الذى يرتدى ملابس الحداد السوداء ، ويسعل سعال مصدور لا شفاء لمرضه ، وقد تيبست بالفعل يده المشلولة . لقد مات جزئيا ؛ ولاشك فى أنه حلقة اتصال بين الموت والحياة ، مرحلة انتقال غادرة ، يمد أثناءها الموت شوكته الى الكائن الحى ويكمن بداخله ، قبل أن يقضى عليه القضاء المحتوم . وادوار يقول فى الفصل الثالث بصراحة ، معلقا على هتاف الجمهور الذى راح ينادى فى اجتماع سياسى بوجوب قتل « الانفصالى عدو الشعب » : ((**سوف نموت جميعا ، وهذا هو الانفصال الخطير الوحيد**)) .

وبيرانجيه نفسه فى صراع دائم بين الرجاء واليأس ، بين نفحة الحياة وهمود الموت ، صراع تلخصه صيحته للمهندس :

((ما جدوى كل شىء ، ما جدوى كل شىء ، ان كانت غايته ان يبلغ بنا هذا المصير ؟))

ولا يدهشنا فى ذلك العالم الدرامى المتوتر أن تقوم الضاحية المشرقة الجديدة بجوار مقابر المدينة القديمة ، عند آخر خط الترام !



أوجين يونسكو

ثورة .. على حماقة الناس !

وازاء الموت الذى يحف بنا ، ويتعقبنا فى كل خطوة نخطوها ، ماذا عسانا أن نفعل ؟ يقول المهندس لبيرانجيه :

ـ ينبغى أن ننظر الى الحياة مواجهة ، كن واقعيا !.. هون عليك !.. لو فكر الناس فى جميع بلايا الانسانية ، لما عاش أحد . وينبغى أن نعيش ! فى كل وقت هناك أطفال تذبح ، وشيوخ تجوع ، وأرامل ثكلى ، ويتامى ، ومرضى يحتضرون ، وأخطاء قضائية ، وبيوت تنهار على سكانها ، وجبال تسقط .. ومذابح ، وطوفانات ، وكلاب تداس .. بهذه الطريقة يستطيع الصحافيون أن يرتزقوا !

غير أن بيرانجيه لايرضى بالابتسام للألم ، وينبذ التراخى والتجاهل والتكيف مع الاوضاع السائدة فى دنياه . انه يأبى اقرار الأمر الواقع ، مادام الأمر الواقع ظلما وعدوانا وانتهاكا لبديهيات العدل والعقل . ولذلك يختلف سلوكه عن سلوك الغالبية العظمى من أهل زمانه . فهو ناشز متمرد ، ثائر على متناقضات الوجود ، وثائر أيضا على جميع هؤلاء الذين لا يعترفون من حوله بتناقض الوجود . انه عبثا يهيب بادوار : ((**أتدرى ؟ هناك أشياء تحدث ، أشياء فظيعة تحدث فى الدنيا ، فى مدينتنا ، أشياء رهيبة ! لا يتصورها الخيال ! بجوارنا هنا ..**))

أما ادوار فقد بلغ من الانحلال أن تضم حقيبته متاع السفاح دون أن يبدى لذلك أدنى دهشة !

وما أشد ضلال الناس ! انهم يتقبلون الموت والخوف بلا احتجاج . يسلمون بالأخطاء ، ويتحالفون مع أصحابها ، ويؤمنون على الخداع أو يعيشون خانعين .. لقد تبلدوا ، وفتر احساسهم بالحقيقة . لاذ بعضهم بالأنانية المستهترة كالمهندس ، وتآكلت مدارك الآخرين كما تآكلت حوافز ادوار .

وحماقة الناس مصدر فياض يعب منه يونسكو ، كما عب منه القصاص الكبير « جوستاف فلوبير » فى القرن الماضى .
ولا جدال فى أن يونسكو قد تخصص فى تسجيل أعراض الخلل والانحلال التى تفشت فى كيان الانسان المعاصر .

فساد اللغة

ويستوقفنا فى مسرح يونسكو عبث أشخاصه باللغة أو عبث اللغة بأشخاصه . ولن نخوض هنا فى النظريات المختلفة التى تشرح نشأة اللغات وتطورها ، لكى نتبين غرض يونسكو . حسبنا أن نقرر ما نلاحظه من أن اللغة اصطلاحات صوتية معبرة يتداولها الناس للتفاهم فيما بينهم وقضاء حاجاتهم المشتركة . وهذه الوظيفة نفسها قد انتهت الى افساد اللغة ، وجعلتها أداة لعزل الانسان عن الانسان ، بدلا من أن تكون أداة صلة وتوافق .

ويفطن يونسكو الى ثغرات اللغة ، ومواطن ضعفها ، لاسيما وهو رومانى يعيش فى فرنسا ، ويصطنع الفرنسية فى التحدث مع الناس ، وفى كتابة حوار ابطاله . فالفرنسية بالنسبة اليه لغة أجنبية ، لا تنبع من فطرته ، ولا ينساق الى ترديد مصطلحاتها بلا وعى ، ولا ترن فى سمعه رنين البديهيات التى تغنيه عن التفكير . **وانما هو يستطيع أن ينظر اليها من الخارج ، أن يراقبها ، أن يفحصها ، وأن ينقدها . واذ يقارن اللفظ بالمعنى ، يلمس ما بينهما من تفاوت وتباين وعلاقات غريبة فى تأدية المقصود ، تغيب أوجه شذوذها عمن يتكلم لغته بالوراثة .**

هذا الحوار الطويل بين « بيرانجيه » والمهندس — وهو يستغرق الفصل الأول بأكمله من مسرحية « قاتل بلا أجر » — يصور قصور اللغة وأثرها المباشر فى اضطراب الفكر . بيرانجيه لا يكف عن الكلام ، وكلامه المتدفق تعليق على كل

ما يعرض له ، وتعليل للظواهر التى يجوس خلالها . انه يحول كل ما يطرق خاطره الى ألفاظ وجمل ، فيسأل ويجيب ، ومن فرط حرصه على الفهم يندهش مما لا يدعو الى الدهشة . ومن حقه أن يفهم عالمه ، غير أنه يسعى لهذا الفهم بجهاز عقيم : فعدته هى ذخيرة المواطن العادى من صيغ عامة ، وأقوال مأثورة يلقيها فتقحمه فى موضوعات لا يقصدها ، وتخلط عليه أيسر المعانى ، واذا كل عبارة يفوه بها تناقض سابقتها . ويزيد الطين بلة أنه طيب القلب، حسن النية ، شديد التحمس ، يريد فى كل لحظة أن يشاطره الآخرون وأن يشاطرهم هذا الوجود ، فينخرط فى شجون الحديث ، ويتدحرج على الألفاظ ، حتى يفقداتجاهه الأول ويندفع فى عكسه . ذلك أن مواده اللغوية لا ترتبط برباط الافيما بينها ، بحيث يدور معها فى حلقة مفرغة ، كدورانه حول نفسه وهو يحاول الفرار من «المدينة المنيرة» . وعلى هذا النحو يتورط فى الخطأ وتضحكنا شذرات أفكاره المرصوصة فى تصريحاته الجدية ، كما يضحكنا هذيان مريض لايدرى أنه يهذى !

أن للمنطق واللغة تراكيب آلية ، تجذبنا عجلتها فنتحول معها الى آلات صماء ونحن نظن اننا نفكر واننا نعنى مانقول . ومن هذه التراكيب يسخر يونسكو ، ويضع على السنة أبطاله ضمن الفقرة الواحدة مجموعة من الأضداد المتفجرة ، كقول « بيرانجيه » للمهندس مثلا :

ـ انك تتحدث عن مدن تسمى أيضا بالسراب . لقد قرأت بعض روايات المستكشفين عن هذا الموضوع . السراب .. انه حقيقة واقعة . أزهار النار ، وأشجار اللهب ، وغدران النور ، لا توجد حقائق سواها ، فى الواقع . اننى شديد الاقتناع بها .

ويونسكو خبير بكل المزالق اللغوية والبلاغية المعروفة فى القياس المنطقى والسفسطة والبيان ، يتفنن فى استغلال مغالطات التشبيه والاستعارة والكناية والتورية والمقابلة .. الى آخر تلك الألعاب التى يثير بها الضحك . وقد بلغ عددها لديه ستا وثلاثين طريقة — فى احصاء لطيف قام به الناقد الشاعر « آلان بوسكيه Alain Bosquet » .

وفساد اللغة كما يرصده يونسكو ليس الا ظاهرة من الظواهر التى تدل على خواء الكائن البشرى . لقد تجاوزت اللغة فى أفواهنا وظيفة الوعاء ، واغتصبت سلطة المضمون . أو نحن الذين نزلنا للوعاء عن سلطة المضمون ، لأننا أصبحنا لا نملك مضمونا ثابتا نرجع اليه ونستمسك به ؛ ولم تعد لدينا قيم محددة ومعايير صحيحة ومفاهيم جامعة مانعة . **لقد أصبحنا نفكر بألفاظنا حتى قضت الألفاظ على ملكة الفكر فينا . أصبحنا الوعاء ، ثم أصبح الوعاء خاليا ، يمتلىء بأية مادة تصادفه . نحن نتكلم لأن كلامنا قناع نحاول أن نستر به فراغنا الداخلى ، ونحاول أن نحجب به عن عيوننا تناقض العالم الخارجى** . اننا فى كلامنا نتشبث بتسلسل منطقى انشأناه توخيا للوضوح ، وتيسيرا على ادراكنا ، وتهربا من المشكلات الحقيقية التى تحتل وجودنا . أما وجودنا فلا يطابق المنطق الذى نسبح فى تياراته ، لأنه يتميز بأنه وجود « غير معقول » .

محادثات الناس على هذا المنوال نسيج من لحظات الغفلة . فمنذ البداية ، رغم تبادل التحيات وكلمات المجاملة ، لا اتصال بين ذلك المهندس وبيرانجيه ، حتى فى الفترة التى يفرغ فيها المهندس تماما لسماع بيرانجيه ، أى قبل أن ينصرف الى مراجعة أوراقه العاجلة والى الرد على التليفون ، مدعيا — فى أدب جم — أنه أثناء عمله يصغى لبيرانجيه دائما . وما انصرافه الى أوراقه تارة ، والى التليفون تارة أخرى ،

الا ترجمة بارزة مجسمة لآثار اللغة . ففى الأوراق كلام مكتوب ، وفى التليفون كلام شفوى . وكل كلام غشاء عازل ينسدل بين الأفراد . ويظل بيرانجيه يتلقف الكلام الموجه الى سواه على أنه موجه اليه ، ويبنى عليه آماله وآلامه ، ويبنى عليه مستقبله وسعادته - عندما تظهر السكرتيرة الشقراء ويطلب يدها . واذا كانت عبارات الحديث الخاص بين شخصين تصلح لثالث قد استغرقه موضوع مستقل - موضوعه الاثير - فما قيمة هذه العبارات ؟ أى شىء هناك يساوى أى شىء ! ان الكلام على هذا النحو مصدر لسوء التفاهم . فكل امرىء محصور فى منطقة معينة من الاهتمامات ، واللغة بآفاتها تلك تحول دون التواصل بين منطقة ومنطقة . **ويتلاقى الناس مع ذلك ويتخاطبون ، ويخيل اليهم أنهم يتبادلون نفس المعانى ، وأنهم ينظرون الى نفس الأهداف ، وأنهم على بينة من أمورهم .. ولكن سرعان ما يشتد اللبس والتخبط والتصادم بين ابناء عالم واحد ، قد توهموا أنهم متفقون متحدون .**

واللغة - فوق ذلك - مركب غدر وهلاك . سلاح خطير تسلطه تنظيمات العصر على حرية الفرد . من كل ناحية تقيد البشر سلاسل من الكلام الشائع ، درر من الحكم والأمثال ، أطواق من العادات التعبيرية ، من المصطلحات الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية ، روجتها الصحف والاذاعات ، وأجهزة الدعاية . وهذا السيل الجارف من الشعارات يطغى على الوجود الشخصى الأصيل ، ويحتل باسم العقل والمنطق مكان المرء ، ويجعل حياته مجرد تطبيقات لتلك الأقوال الدارجة . لقد انطمست شخصية الانسان فى ظل الأساليب العامة . وانحدرت لغة اليوم بكرامته الى حضيض الابتذال .

ويتجلى الابتـذال فى كلام فئة البوابين والبوابات ، وهى معروفة فى فرنسا بالفراغ والتطفل والجهل ، وبحب الثرثرة والشائعات والقيل والقـال . والبوابة من أهم شخصيات يونسكو ، نلقاها فى كثير من مسرحياته : ((أميديه)) ، ((الكراسى))، ((الســاكن الجديد)) الخ . انها تمثل ما انتهت اليه الطبقة البورجوازية من التدهور والانحطاط . وفى مسرحية « قاتل بلا أجر » ، تصول البوابة وتجول فى الفصل الثانى ؛ ثم تظهر فى الفصل الثـالث وقـد أمست زعيمة شعبية تدعى «الأم بيب » ، ووقفت تخطب على قارعة الطريق فى حفل انتخابى حاشد . ومن حق يونسكو ، بعد أن بلا فى بلاده أكاذيب النظم الديكتاتورية ، وزيف شعاراتها ، واستبدادها الخانق ، أن يسخـر بعنف من فسـاد السـياسة ، وأن يندد بالنـازية وبالديمقراطيات الشعبية ، وماتقوم عليه من خداع المبادىء .

واذا كان بيرانجيه قد أفلت من اغراء خطبة « الأم بيب » ووعودها المعسولة ــ بعكس قرينه ادوار ــ فما ذلك الا لأنه جاد فى البحث عن السفاح ، منطو على رغبته . وليس معنى هذا أنه قد نجا . **لقد نجا من شعارات ((الأم بيب)) لكى تقضى عليه شعاراته هو عندما ينبرى لمخاطبة السفاح ويتولى اصـلاح أمره بالكلام .. فان بيرانجيه ضحية اللغة قبل أن يكون فريسة المجرم** . ومن هذه الناحية ، ما أشبه حديثه الفردى الأول ــ على مسمع من المهندس ــ بحديثه الفردى الأخير فى حضرة السفاح ! هناك رأينا بيرانجيه يستطرد ويتعثر ويتناقض ، وهنا ــ فى ختام المسرحية ــ نرى بوضوح مروع كيف تتفكك العزيمة ، وكيف يتحلل الفكر ، ويتهاوى فى مساقط جدل أجوف . ان اللغة هى التى مهدت لاستسلام بيرانجيه ، وأفضت الى خوره وهزيمته . وهـذا الخطاب الطويل المتداعى ، قمة من قمم الانشاء المسرحى ، باعتراف

الناقد المحافظ الكبير « جبرييل مارسيل » نفسه ، وهو الذى يقسو — بوجه عام — فى أحكامه على أعمال يونسكو وأدب « الطليعة » .

تفتيت الشخصية

فى **اللغة** اذن فساد جوهرى يبدد وعى الانسان ، ويدل على هذا التبدد . وهكذا لا نجد أنفسنا أمام شخصيات محددة الملامح كشخصيات المسرح التقليدى . لقد ذهب عصرنا بتماسك الشخصية . ذابت اصالة الفرد فى التكتلات المفتعلة ، وشتتت قواه حاجات العيش ، ونظم العمل ، وأنواع الضغط الكثيرة التى تفت فى عضده ، وتتحكم فى ارادته ، وترغمه على التكيف بأنماط معينة من السلوك ، واداء واجبات مرهقة لا تنبع من رغباته . ولقد سبق أن نبهت مدرسة التحليل النفسى — التى أسسها « فرويد » — الى تعدد الشخصية الواحدة تحت عوامل الكبت الاجتماعى . وكانت لهذه النظرية آثارها الملموسة فى تطور الأدب الحديث ، ولاسيما فى مذهب «السيريالية» ، التى تطلق العنان لمكنونات العقل الباطن والأحلام . ومهما تبرأ يونسكو من السيريالية وأصحابها ، فانه بلاشك قد أفاد من منهجها . ولا يستطيع الباحث فى مسرحه أن ينكر ارتباطه بكتابات « الفريد جارى Jarry » و « أنطونان أرتو Antonin Artaud » .

والفرق بين شخصيات يونسكو والشخصيات التقليدية فرق كلى : فالمسرح التقليدى ينظر الى الشخصية على أنها وحدة متميزة ، قائمة — بذاتها — على جملة من السجايا أو العيوب التى يكفى سردها للتعريف بالشخصية أولا وأخيرا . أما يونسكو فينظر من خلال الفلسفات الحديثة الى وعى الانسان وما يتقاسمه من عوامل التوتر والتغير .

فيما مضى كان الممثل ملكا أو تاجرا أو خادما ، يتكلم ــ حسب منزلته ــ بلهجة الملوك أو التجار أو الخدم . كان البخيل بخيلا دائما عند ((موليير)) ، والكريم يلقى درسا فى الكرم ببلاغة ((كورنى)) ، والعاشق هيمان لا يحفل بغير الحب مثل ((روميو)) . وكان من الأخطاء الفاحشة فى عرف المؤلفين والنقاد أن يتفوه أرستقراطى بكلمة سوقية ، فاذا تنكر السيد لحظة فى ثياب خادمه ــ أو العكس ــ أسفرت عن كل شخص لغته وآدابه . وما أكثر المسرحيات التى تدور بأكملها حول تلك المواقف !.. وبعبارة أخرى ، كانت هناك معالم واضحة ، فضائل ورذائل نمت ، وتبلورت ، وبرزت على رقعة مجتمع مستقر فى نظر أهله . وباهتزاز مقاييس ذلك المجتمع فى العصر الحديث ، سقطت تلك المعالم ، واستوى السطح وتعددت أشكاله وتبدلت أبعاده ، وتركز اهتمام الفكر على القيم الدقيقة الغائرة تحته . وفى وسع يونسكو الذى استوعب آخر نتائج العلوم الانسانية أن يستشف الصدوع فى نفس الانسان ، وأن يدرك مأساة البشر الحالية كما شهد أطرافها الممتدة من شرقى أوروبا الى غربيها .

ولماذا يظل المسرح بعد هذا كله تابعا لرأى الأولين فى رسم الشخصيات ؟ هل فن الدراما مجرد ((ملحق)) لعلم النفس بمفهومه القديم ؟ لقد تفككت الشخصية ، بتشابه الناس الاجبارى فى التكتلات المعاصرة ، وبتشتت الشعور الذاتى . وأصبح فلان أو فلان ــ على السواء ــ سلسلة متقطعة من أوضاع الوجود ، تجاورت حلقاتها المخلخلة فى جسم واحد . فالفرد عدة نقط متفرقة من الحالات لا تربطها سوى الملابسات العارضة . وما يبدو من علاقات ثابتة بين الناس واتصال فى الشخصية انما يصدر عن الذاكرة ، لأن التجربة الانسانية متناثرة موزعة . وليست الذاكرة هى

تذكر الأحداث مباشرة ، بل هى كما يقول بيرانجيه للمهندس: « تذكر الذكرى ، كفكرة أصبحت غريبة عنى ، كقصة رواها غيرى » .. **ان بيرانجيه يحاول – فى عناء – تذكر سعادته القديمة . وفقدان الذاكرة – وهومرض يبين خضوع الادراك الحسى لتحكم الظروف الخارجية الطارئة – موضوع من الموضوعات الأثيرة فى مسرح يونسكو . وقد عرف الأدب منذ الجيل الماضى – وخاصة المسرح – أهميةهذا الموضوع الجديد ، واستوحاه بصورة بسيطة ((جيرودو)) فى مسرحية ((سيجفريد)) و ((جان أنوى)) فى مسرحية ((المسافر بلا متاع)) .**

واذا اقتصرت الحياة الشخصية الآن على التقاء مرضى ببعض الحالات الوجودية غير المحددة ، فليس ثمة ما يدعو .. صراع هو وعى انسان معين . وبذا يسقط معنى لتحضير المؤلف الى حصر تلك الحالات الشاردة داخل اطار كامل المسرحية الذى كان يعتمد على تصنيفات علم الخلائق القديم . لاعجب اذن فى أن تطفو شخصيات يونسكو بين حين وحين على وجه الحياة ، لا عجب أن تظهر بغتة بدون مقدمات وأن تتوارى بغتة بدون تعليقات ، ولاعجب أن تنصهر شخصيتان فى شخصية واحدة ، أو أن نسمع نفس الكلام من عدة أشخاص ، وأن يعبر ممثل عن خواطر ممثل آخر ..

وشيوع الشخصية على هذا النحو نذير بفنائها . وفى **((قاتل بلا أجر)) تتعدد الاشكال التى يتخذها الفرد الواحد : فالمهندس يصبح فجأة مأمور الشرطة ، والبوابة تصبح الزعيمة ((الأم بيب)) ، كما أن بيرانجيه وادوارد فريان متلازمان ، مع كل منهما مفاتيح نفس الحجرة ، وأكبر الظن أنهما شخص واحد تقمص بيرانجيه جانبه الذى يطفو على**

سطح الحياة ، ورسب فى ادوار جانبه الدفين الذى دبت اليه جراثيم الموت .

ولقد ذهب يونسكو هذا المذهب فى مسرحياته السابقة ، حيث يعرض علينا من الشخصية الواحدة نسخا كثيرة ، تحمل نفس الاسم ، وتقوم نفس المقام : فهناك « روبرت » رقم ١ و « روبرت » رقم ٢ فى مسرحية « جاك أو الخضوع » وهناك بارتولوميوس رقم ١ وبارتولوميوس رقم ٢ وبارتولوميوس رقم ٣ فى « أرتجالية الألما » .. الخ . وكل نسخة من نسخ الشخصية تستطيع أن تستعير كلام الأخرى ، وتكرره ، دون أدنى فارق . ولن يكون انتقال الجواب الواحد من فم الى فم دليلا على وحدة الشخصية . انها وحدة سلبية على كل حال ، هى وحدة الفراغ الذى انتهت اليه هذه الشخصيات ، ونكاد نقول انها وحدة العدم . وتحلل الشخصية على هذا النهج لا يطابق انقسام الشخصية فى مدرسة التحليل النفسى التى ترد كل ظاهرة الى علة معقولة ، وانما هو تحلل « لا معقول » لعله انسب تعبير عن عالمنا الحالى « اللا معقول » .

وتقهقر شخصية الانسان يلازمه فى أعمال يونسكو تكاثر الأشياء المادية من حول الممثلين ، الى حد تضيق به خشبة المسرح . فالمادة هى التى تزاحم النفس فى دنيانا ، وتلح عليها الحاحا ثقيلا ، وتشتد فى حصارها حتى تطردها من الوجود وتحتل مكانها . وذلك ما نلاحظه فى الفصل الثانى من مسرحية « قاتل بلا اجر » : فغرفة بيرانجيه المعتمة غاصة بأثاث ضخم عتيق ، وحقيبة ادوار تنفرج عن أوراق وعلب وأشياء سخيفة لا تلبث حتى تملأ المائدة وتنتشر فى كل ركن بصورة تجاوز ما يتوقعه العقل . وبالمثل يروعنا تراكم « الكراسى » فى المسرحية التى تحمل هذا العنوان ، وتراكم قطع الأثاث ايضا فى مسرحية « الساكن الجديد » .. ولا حول ولا قوة للانسان ازاء طوفان الجماد ، فالانسان اليوم

كالعاجز عن صد هذه الأشياء المادية التى تجتاح حياته وتلغى وجوده ، مع أنها من صنع يديه !

هدم أسس المسرح !

ومن المعروف أن أهم أسس المسرح التقليدى هى القصة والشخصيات والحوار . ويونسكو — كما رأينا — يحطم هذه الأسس : الحوار لديه يشهد بفشل الألفاظ فى خلق الاتصال بين الناس ، بل ويبين انهيار الفكر بتداعى الالفاظ. والشخصيات لديه قد هجرتها نفوسها ، وأصبحت هياكل خالية ، لا يهزها انفعال ، ولا يسرى فيها شعور ، ولا يتميز بعضها من بعض . **وأما القصة لديه ، فلا تستقيم لها** أحداث معقولة ، وانما تدور مع عناصرها تلك الجوفاء فى حلقة مفرغة ، كمسرحية « الدرس » التى تنتهى بنفس المنظر الذى بدأت به . .

وعزيز علينا حقا أن ينهار أمامنا المسرح التقليدى الذى تعودنا التطلع الى بنيانه ، وتأصلت قيمه الجمالية فى ذوقنا ونقدنا ، بعد أن قامت على طرازه صروح فنية شامخة. ولكن تحطيم الفن قد لا يكون عبثا وتخريبا واعداما فى عصر تحطيم الذرة وبعث طاقات جديدة من قلبها . انه عمل أديب صادق . وفى مسرحية « ضحايا الواجب » ، نسمع هذه العبارة على لسان « مادلين » : **« هناك دائما مايجب أن نقوله . ومادام العالم الحديث فى انحلال ، فأنت تستطيع أن تكون شاهد الانحلال »** . وليس اغراب يونسكو ، وعكوفه على الآلية والعنف والهذيان ، سوى رصد دقيق لما يدور فى عالمنا الحاضر . وهو يفصح عن ذلك عندما يقول لنا — على لسان شخصية « يونسكو » نفسه — فى « ارتجالية الما » : **« أن**

المسرح بالنسبة لى ، هو انعكاس للعالم الداخلى على منصة التمثيل : فمن أحلامى ، ومن هواجس قلقى ، ومن رغباتى الغامضة ، ومن متناقضاتى الباطنة ، أحتفظ ــ شخصيا ــ بحق استمداد هذه المادة المسرحية ») .

ووصف العالم بانه « لا معقول » ليس بدعة من ابتكارات يونسكو ، وانما هذا موضوع الأدب الحديث منذ ربع قرن تقريبا ، وموضوع كتابات « سارتر » و « كامى » بوجه خاص. ولكن سارتر وكامى احتفظا ــ فى معالجة «اللامعقول» ــ بكل مقومات الشكل الأدبى التقليدى ، الذى يخاطب العقل بلغته العقلية ، ويجرى على سنن الاوائل فىالانشاءالقصصى أو المسرحى أو الجدلى . وتجديد يونسكو يتلخص فى تحطيم القالب الفنى بما يناسب أشلاء المضمون ، مادام الانسان وعالمه الآن مجرد أشلاء متناثرة متنافرة تند أوضاعها عن نظم العقل وتزرى بأحكام المنطق . ولقد نشطت اليوم بين أدباء القصة أيضا حركة هدم موازية ، تعرف فى فرنسا بحركة « القصة الجديدة » ، من أعلامها الان روب جرييه ، وناتالى ساروت ، وميشيل بوتور ، وغايتها التحرر من قواعدالقصة الموروثة ، وتقديم المادة القصصية فى مثل التشعث الذى يستقبلها به ادراكنا فى واقع الحياة . وهكذا تغمر الأدب موجة جريئة من أعمال الطليعة فى كل فن ، موجة هائلة تصفعنا بها ريح العصر الذرى التى غدونا نضطرب فى مهبها .

نحو مسرح جديد

وليونسكو رأى علمى فى تاريخ المسرح ، كيف كان فىالماضى وكيف ينبغى أن يكون فى منتصف القرن العشرين :

فالمسرح فى العصور القديمة ، ولاسيما لدى الاغريق ،

فن جماعى ملحمى ، يتوخى أن يضع — فى صورة مصغرة للمجتمع — بطلا نموذجيا وسط جوقة المنشدين ، **للتعبير عن صراع الانسان ضد غوائل الطبيعة أو الحروب** ، فى كون لا تفسير له اذ ذاك سوى القدر الخفى الذى يتدخل فى شئون الناس كما يشاء . **وفى العصور الوسطى — مع سيطرة الدين — أصبح هذا الصراع الدرامى صراعا بين قوتين عظيمتين هما الشر والخير ، قوة الشيطان وأنصاره ضد قوة الله وعباده** . فلما جاء عصر النهضة ، آمن الانسان بنفسه أولا ، وكشف أن **الصراع انما يدور فى داخله ، بين عقله وغرائزه ، على نحو ماينجلى فى شخصيات ((شكسبير)) ثم ((كورنى)) و ((راسين))** . وأما العصر الحديث ، فقد انتشرت فيه حضارة مادية لم ترتفع للأسف بوجدان الفرد ولا بفكره ، بل تمخضت عن حروب طاحنة ونظم عقائدية صارمة ، تعارض حرية الانسان الطبيعية ، وتحشد البشر مثل قطعان الماشية لاستغلالهم وتسخيرهم . **ولهذا ثارت ((الوجودية)) ونادت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بأن الحقيقة هى ما يريده الانسان وبأن أوضاع الحياة الراهنة لامعنى لها** . وهنا تترجم الدراما عن نوع جديد من الصراع، هو الذى احتدم بين الفرد بوصفه انسانا حرا ، وبين النظم الاجتماعية والظروف الخارجية التى تضيق عليه الخناق .

وتغير مجال الدراما على هذا النحو يقتضى تغييرا فى شكلها . فبدلا من الخط المستقيم الشهير الذى يمتد من نقطة بدء معينة الى أزمة ثم الى انفراج ، بدلا من هذا الخط الذى يفترض أن الانسان طبيعة ثابتة ، ينبغى تصوير حقيقة الانسان من حيث هو كائن حى متطور ، يتوثب ويتوق الى الانطلاق ، ويتحرك — ما استطاع — ضد عوامل الضغط .

ومن ثم يعرض علينا يونسكو شخصياته فى حالات متتالية — غير مترابطة — من الكر والفر ، من التطور المتقطع المستمر . فالشخصية مجموعة مواقف متفرقة ، فى كل منها يشن البطل هجمة تناسب المقام على مصدر الخطر الذى يهدده . والبطل شخصية عادية لا ممتازة ، واحد من هذا القطيع الآدمى المطارد اللاهث . وهو يتكلم لا ليصف من الخارج نضاله ، كما كان يفعل ابطال المسرح التقليدى الحريصون على اتحافنا بالتقارير الموضوعية الوافية عن كل جزء من أجزاء القصة ، وانما هو يتكلم تلقائيا ، كما تعن له الأمور ، لا ينتقى ألفاظه ، ويدع لاقواله التافهة أن تنقل لنا مباشرة ما يعتريه من تناقض المفاهيم . انه عيى ، منعزل عن المعانى ، يسىء التعبير ، فتتسع الهوة التى تفصل بينه وبين واقعه ، ويشتد التوتر . وهنا يضحك المتفرج .. **اى ان الجمهور يستيقظ ، ويتنبه ، ويدرك ، ويتدخل فى المشكلة . وهذا هو الحل المقصود للازمة ، بدلا من « التطهير » الذى كان ارسطو يقول انه ينقى الانسان بفضل هزة الرعب التى تنتابه وهزة الشفقة التى تسرى فى نفسه أثناء مشاهدة التراجيديا .**

ولقد كان أرسطو يحذر من الجمع بين التراجيديا والكوميديا ، فلكل مقام مقال ، ولكن يونسكو يثير فينا الضحك من محن اليمة ، لانه يرجو أن يكون ضحكنا افاقة من غفلتنا ، ونزوعا الى تصحيح الاوضاع المقلوبة .

وفى تبرير منهجه يذكر يونسكو انه رأى الناس من حوله تفسر الواقع بالخرافات — اى بالظروف الطارئة دون تحقق من مغزاها ، بالشائعات الرائجة دون تثبت من مضمونها — فأتى بتلك الخرافات ، وجسمها (فى صورة « السفاح » مثلا أو « الخرتيت ») وجعل الناس تندمج فيها ، حتى

تجتازها ، وتخرج منها ، وتخلفها وراءها ، وتعود الى واقع سليم مجرد من الخرافة .

تصحيح مفهوم الواقعية

يتحرر يونسكو اذن من حرفية القوانين المسرحية العتيقة ، ويفطن الى روح المسرح الخالصة — اى حركة الصراع — ويبعثها فى واقع الانسان المعاصر . على ان « واقعية » يونسكو تختلف تماما عن واقعية المسرح التقليدى ، الذى ظل قرونا طوالا يزعم انه يحاكى الواقع أو يحاكى الطبيعة . وكيف يصدق فى نقل الواقع فن كالمسرح له أصول ومصطلحات تقتضيه أن يتصرف فى ذلك الواقع بالاختيار والتنسيق : بالحذف والاضافة والتعديل ؟

ان فى تسمية أى مسرح «بالمسرح الواقعى» مغالطة وكذبا .. ولا سيما مسرح النصف الثانى من القرن الماضى ، وليد الفلسفة التقدمية التى نبتت فى القرن الثامن عشر وامتدت فروعها بعد ذلك فى علوم المجتمع والاقتصاد . ولقد اجتازت الانسانية هذا المذهب الفكرى النازع الى المادية ، وعادت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، مع «ماريتان» و«برجسون» و «فرويد» الى الاهتمام بالقوى غير المنظورة التى تؤثر فى حياة الانسان وتحفزه الى الحركة : قوى الايمان والحدس واللاوعى . ولكن المسرح كان أبطأ الفنون جميعا فى التخلص من وطأة تلك «الواقعية» المزعومة ، لارتباطه بسواد الجمهور ، **فجمهور المسرح — كما هو معروف — بطىء التطور ، ينفض عن الممثلين الذين يصدمون ذوقه ، على حين يستطيع الرسام المجدد مثلا أن يكسب عيشه اذا صادف تشجيع نفر قليل من الخاصة. ورغم احتجاجات ((كلوديل)) و ((جارى)) وغيرهما ، لايزال اللون ((الواقعى)) يصبغ التمثيل فى مسارح العواصم الكبرى :**

فموسكو تدين « بالواقعية الاشتراكية » وتمجد « مكسيم جوركي » ، ومسرح « البولفار » في باريس يستهوى عامة الفرنسيين وافواج السياح .

ولقد شن يونسكو على ذلك الزيف هجمات عنيفة ، في احاديثه ومقالاته ومسرحياته . ولعله يستمد عنفه من القوة التى بلغها التيار الجديد . وخلاصة رأى يونسكو ان تقييد الفن بقيود الواقعية الخارجية من شأنه أن يحجب عن الانسان مناطق شاسعة من حقيقته . وما افقر ما يجرى في حياتنا اليومية ! انها امور سطحية تعزلنا عن حياتنا العميقة الزاخرة بمعاني الحب والموت والعجب ، وتقصينا عن منبع المعرفة الكامن في الخيال والأحلام . ويونسكو يحاول أن يقطع أوصال العلم العقلى الذى باسمه فرضت علينا تلك « الواقعية » . فهذا العلم ــ كما فضح أمره عدة فلاسفة محدثين ــ علم ناقص وخادع ، قد انصرف الى صياغة الملاحظات الحسية في مصطلحات الرياضة ومعادلاتها ، وألهته عمليات تلك المعرفة الظاهرية عن معرفة النفس وتحرى ماهيات الكون . وفى كلام «بيرانجيه» ومصيره سخرية رهيبة من المنطق الشكلى ، الذى يقحم المجادل في الخطأ ، بينما يوهمه بأنه على صواب .

ما عمر بيرانجيه في مسرحية «قاتل بلا أجر» ؟ انه يجيب: **« أنا ربما أبلغ من العمر ستين سنة ، سبعين سنة ، ثمانين سنة ، مائة وعشرين سنة ، من يدرينى ؟.. أشعر انني عجوز .. فالزمن معنى ذاتى قبل كل شيء » . اوليس تحديد عمر الانسان بالارقام عملية تحكمية جائرة ، لانها لا تحسب حساب تجاربه أو حالته النفسية ؟ ومن حق مقاييس النفس أن تنقض مقاييس الزمان .**

ونحن نجابه مع بيرانجيه في الفصل الاخير من المسرحية ساعة واقفة ، لا تتغير ابدا قراءة الوقت الذى تشير اليه ،

ونتوغل بصحبته فى عالم « غير واقعى » قد انعدم فيه الزمن ، وكأننا نعيش معه فى حلم أو « كابوس » !

والمكان ايضا قد ينعدم فى مسرح يونسكو ، كما ينعدم الزمان . نرى مثلا لذلك فى الفصل الاخير من «قاتل بلاأجر» ، عندما يسير بيرانجيه فى طريق لاينتهى ، وامامه شمس غاربة فى الافق لا يصدر عنها ضوء ، وانما هى قرص كالح معتم مرسوم فى اقصى المنظر !

بهذا الاسلوب المتخفف من أوامر العقل ونواهيه يحسم يونسكو مشكلة تصوير الزمان والمكان فى المسرح . وهى مشكلة مزدوجة اقترنت بتاريخ الادب التمثيلى منذ أقدم العصور ، وادت الى خصومات ومعارك صاخبة ، كمعركة « السيد Le Cid » فى القرن السابع عشر ومعركة هرنانى « Hernani » فى القرن التاسع عشر . ولقد أشتهرت صرامة المؤلفين « الكلاسيكيين » فى احترام وحدة الزمان ووحدة المكان ، كما اشتهرت ثورة المؤلفين « الرومانسيين » على تضييق هذين المفهومين . والطريف ان كلا من الفريقين اعتمد فى الدفاع عن رأيه على حجة التشبه بالواقع ، ودعا الى ضغط زمان الاحداث ومكانها بنسب خاصة . ومهما يكن من قيمة تلك الحلول ، فقد جرؤ يونسكو على اخراج الانسان من الزمان والمكان ، خارقا بذلك مقولتين عظيمتين من مقولات المنطق .

وهاهو ذا الانسان الذى انطلق من أسار العقل يقتحم بيئة عجيبة كان يجهلها ، منطقة تسود فيها الحرية ازاء الاعراض المادية . انها حرية مذهلة كحرية رجال الفضاء اليوم ، حينما تبلغ بهم سفنهم الصاروخية منطقة انعدام الوزن ! ومع ذلك ، فالعالم الذى يطلع عليه رجال الفضاء عالم « واقعى » ، لا ينفى احتجابه عن حواسنا حقيقة وجوده وحقيقة علاقتنا

به . وهكـذا يتخطى يونسـكو حواجز الواقعيـة الموروثة ، ويوسع مجال واقعه المسرحي فيمد ابعـاده ـ مع الاحلام واللاشعور ـ الى ما وراء المحسوس .

وهذا لا يعنى ان يونسكو يعمد دائما الى التجريد . صحيح ان ديكور الفصل الاول من « قاتل بلا أجر » منعدم او مقصور على الاضاءة التي تخلق بالانوار وحدها كل الاجواء النفسية اللازمة ، ولكن ديكور الفصل الثاني يعج بأكداس من التفاصيل المادية الدخيلة التى تثقل على السمع والبصر . وهو تناقض مقصود ينقلنا من « الضاحية المنيرة » الى المدينة المرهقة .

ان يونسكو ـ كما اسلفنا ـ يستعير فى كل مناسبة خير ما يبرز غرضه من شواهد العالم المحسوس ، أو من وسائل الشعر وصور الخيال . **لقد حول ((الواقع)) من سيد الى خادم . حلله ، وبسطه ورده الى خطوط قصيرة مستقيمة تسجل الدوافع والانطباعات** . واخضعه لآلية تشـبه آلية مسرح الدمى ، حيث تتحدد حركات الأشخاص بجـذب خيوط معينة توجهها . ومن مجموع هـذه الحركات ، من سرعتها وبطئها ، ومن المبالغة فى بعضها احيانا ، ينتظم ايقاع مؤثر ، يقترب بالمسرح من فن « الباليه » .

نحن و ((يونسكو))

على هذا النحو تلتقى فى مسرحيات يونسكو نظرة الفلسفة ، ودقة البحث والتحليل ، وقسوة المضمون ، وجدة الصياغة الجمالية . غير أن هذا المجهود المتعدد الجوانب لا يخلو من شوائب العسف والتكلف . ومع ذلك فهو جدير بأن نتأمل عناصره ، وان نستقصي دلالاته ، وان نستأنس أوجه الغرابة فيه ، لا بأن نرفضه رفضا لخروجه عما درجت عليه أذواقنا

ويونسكو يطمع فى أن نعترف به كاتبا « كلاسيكيا » من كتاب المسرح ، لان القلق الذى يرصده قلق ميتافيزيقى ، ولان البلبلة التى يصــورها هى بلبلة النفس البشرية عامة على مدى العصور واختلاف البلدان . ترى هل يفسح تاريخ الادب ليونسكو هذا المكان المرموق ؟ وهل تثبت اعماله لامتحان الاجيال كما ثبتت أعمال ((راسين)) و ((موليير)) ؟ ذلك ما نترك للخلف أن يقرره . اما نحن فحسبنا ان نتفهم هذا المسرح الجديد .

((أ . ل .))

المراجـــع

Eugène Ionesco: *Théâtre* I, II. Gallimard, 1958.

———— : "Expérience du théâtre", *Nouvelle Revue Française*, No. 62, Février 1958, p. 247-270.

———— : "Pages de Jou rnal", *ibid.*, No. 86, Février 1960, p. 220-233.

———— : *Notes et contre-notes.* Gallimard, 1962.

———— : *La Photo du Colonel.* Gallimard, 1962.

Serge Doubrovsky : "Le Rire d'Ionesco", *Nouvelle Revue Française*, No. 86, Février 1960.

R.-M. Albérès : *L'Aventure intellectuelle du XXe siècle.* Albin Michel, 1959.

P.-A. Touchard : "Un théâtre nouveau", *L'Avant-Scène*, No. 156, p. 1-2.

Georges Neveux : "Eugène Ionesco" *ibid.*, p. 26-27.

H. Gouhier : "Un théâtre humain de la cruauté", *La Table Ronde*, No. 147, Mars 1960, p. 178-181.

Richard N. Coe : *Ionesco* (Writers and Critics). London, Oliver and Boyd, 1961.

Bernard Pingaud : *Ecrivains d'aujourd'hui (1940-1960).* Grasset, 1962.

الأشخاص والأصوات والأطياف

(بترتيب ظهورهم على المسرح)

بيرانجيه : متوسط السن ، مواطن عادى .
المهندس : لاتبدو عليه سن معينة ، كأمثاله من الموظفين .
دانى : فتاة تكتب على الآلة الكاتبة ، الفتاة المتبرجة التقليدية .
المتشرد : سكران .
صاحب الحانة : متوسط السن ، بدين ، اسمر ، غزير الشعر .
الدوار : ٣٥ سنة ، هزيل ، محموم ، قاتم الملابس ، فى حداد .
البوابة (يسبقها « صوت البوابة ») : نموذج البوابة .
صوت كلب البوابة .
صوت رجل .
صوت رجل ثان .
صوت سائق سيارة نقل .
صوت سائق سيارة .
الشيخ الاول .
الشيخ الثانى .
البقال .
صوت المدرس فى المدرسة .
صوت اول صادر من الشارع .
صوت ثان (غليظ) صادر من الشارع .
صوت ثالث (نحيل) صادر من الشارع .
صوت رابع صادر من الشارع .
صوت أول صادر من اسفل .

صوت ثان صادر من أسفل .
صوت من اليمين .
صوت من اعلى .
صوت من اليسار .
صوت ثان من اليسار .
صوت امرأة ، فى مدخل البيت .
طيف راكب موتوسيكل .
صوت الساعى ، يسبق ظهور الساعى نفسه .
الام ((بيب)) .
صوت الجمهور .
السكير ، كامل الهندام ، وعلى راسه قبعة مرتفعة .
السيد العجوز ذو اللحية الصغيرة البيضاء .
الشرطى الاول .
جندى شاب يحمل باقة من الزهر .
الشرطى الثانى .
الصدى .
القاتل .

———

ارشادات للاخراج

كثير من هذه الأدوار يمكن أن يؤديه نفس الممثلين . ومن ناحية أخرى ، فان الأصوات التى فى الفصل الثانى لا تسمع كلها طبعا . فى الجزء الأول من الفصل الثانى ، للمخرج أن يحذف ما يشاء ، وأن يقصر اختياره على ما يرى فيه قوة التأثير من تلك الأصوات ، والنوادر غير المعقولة . ولكن على المخرج أن يستخدم — اذا أمكن — وسائل تثبيت الأصوات .
ويستحسن أيضا ، فى نفس هذا الفصل الثانى ، اظهار أكبر عدد ممكن من الأطياف ، من الجانب الآخر للنافذة ، وكأنها على مسرح وراء مسرح . وعلى كل حال ، بعد رفع الستارة عن الفصل الثانى ، لابد من أقوال وأصوات حول المنظر الخالى — بضع لحظات على الأقل — لكى يمتد ويزداد على هذا النحو ذلك الجو البصرى والسمعى الشارع ؛ وللمدينة الذى يتجلى فى آخر الفصل الأول ؛ وينطمس بعد وصول بيرانجيه ، ثم يسود من جديد فى عنف منذ بداية الفصل الثالث حتى يبتعد نهائيا فى الختام .

ومن المستطاع أيضا حذف قطع من الفصل الأول ، بحيث يبقى الممثل المضطلع بهذا الدور على ما يجيد التعبير عنه ، حسب قدرته وحسب طبيعته .

وخطاب بيرانجيه للقاتل ، فى آخر المسرحية ، بمشابة فصل قائم بذاته . وينبغى أن يدعم النص تمثيل يبرز تلجلج بيرانجيه التدريجى ، وتحلله ، وخواء فلسفته الأخلاقية الجوفاء التى يغلب عليها الابتذال ، والتى تتلاشى كالهواء المخزون عندما تفش الكرة . وفى الواقع ، أن بيرانجيه يجد فى نفسه ، وبالرغم من نفسه ، وضد نفسه ، حججا تؤيد القاتل [٥]

لا يوجد اى منظر . خشـبة المسرح خالية عند رفع الستارة .

على المنصة لن يطرأ فيما بعد ، من الناحية اليسرى ، سوى كرسيين من كراسى الحدائق ومنضدة يحضرها المهندس بنفســه . (ينبغى أن تكون بين « الكواليس » فى مكان قريب .)

فى الفصل الاول ، يبعث الجو بالنور . لاغير . فى البداية ، وخشـبة المسرح لا تزال خاليـة ، يكون النــور رماديا كأنه ضــوء نهــار من ايام نوفمبر او فبراير بعـد الظهــر ، وقــد تلبدت السماء بالغيوم . صوت هبوب الريح خفيفا ، ولعل الناظر يرى ورقة ذابلة من أوراق الشجر تخترق المنصة ، متطايرة . من بعيد ، ضجيج « ترام » ، وظلال غامضة لبيوت تتوارى على حين غرة ، اذ تضاء خشبة المسرح بشدة : انه نور قوى جداً ، ناصع جدا ، هناك هذا النــور الساطع ، وهناك أيضا زرقة السماء الوضاحة الغزيرة . وهكذا ، بعد الجو القاتم : يجب أن تصب الاضاءة هــذا البياض وهــذه الزرقة ، منشئة بذلك العنصرين الوحيدين لهذا المنظر الذى يتألف من النور . لقــد انقطع ضجيج « الترام » وعصف الريح أو خرير المطر فى نفس اللحظة التى حدث فيها تغيير الاضاءة . وعلى الزرقة والبياض والســكون وخشبة المسرح الخالية أن تشيع فى النفوس طمانينة عجيبة . ولهذا الفرض ينبغى أن يمنح النظارة من الوقت ما يتيح لهم ذلك الشعور . لايجب اذن أن يظهر

الأشخاص على خشبة المسرح الا بعد انقضاء دقيقة وافية .

يدخل أولا « بيرانجيه » من الناحية اليسرى ، مهرولا ، ويقف وسط المنصة ، ويستدير في مكانه بحركة سريعة ، ملتفتا نحو اليسار ، من حيث يقبل ، في مشية رزينة ، المهندس المعماري ، الذي يتبعه . « بيرانجيه » ، في هذه اللحظة ، يرتدي معطفا رماديا ، وقبعة ، وملفعة . أما المهندس فيرتدي سترة خفيفة ، وقميصا مفتوحا حول العنق ، وليس على رأسه قبعة . وهو يتأبط حافظة أوراق ، بادية الثقل والكثافة ، تشبه حقيبة « ادوار » في الفصل الثاني .

بيرانجيه : ... عجيب ! عجيب ! شيء مدهش ! في رأيي ان هذا من قبيل المعجزات ... (**حركة احتجاج غير صريحة من جانب المهندس**) المعجزات أو ، اذا شئت — لأنك ، بلا شك ، ذو عقلية « لا دينية » — ان هذا من قبيل الابداع ! انى أهنئك بحرارة ، أيها السيد المهندس ، فهذا شيء رائع ، رائع ، رائع !... حقا !

المهندس : أوه .. يا سيدى العزيز ..

بيرانجيه : بلى ، بلى .. انى حريص على أن أهنئك . هذا شيء بالضبط لا يصدق ، لقد حققت شيئا لا يصدق ! الواقع الذى يفوق الخيال !

المهندس : انى أتقاضى مرتبى لكى أقوم بهذا العمل ، انه يدخل فى دائرة اختصاصاتى العادية ، انها مهنتى ..

بيرانجيه : طبعا ، طبعا ، يا سيدى المهندس ، هذا مفهوم ، انك صانع فنى حشوه موظف أمين .. ومع ذلك ، فهذا لا يشرح كل شيء . (**ناظرا حوله ومحدقا فى مواضع محددة**

من خشبة المسرح) ما أجمل هذا ، يا له من عشب ناضر ، وهذا الحوض المزهر .. آه ! هذه الازهار الشهية كالخضر ، وهذه الخضر الشـذية كالأزهار .. وياللسماء الزرقاء ، يا للسماء الزرقاء العجيبة .. ما أبدع الجو ! **(الى المهندس)** فى جميع مدن العالم ، جميع المدن التى تبلغ قدرا من الاهمية، لابد أن هناك ، بطبيعة الحال ، موظفين ، مهندسين من مهندسى البلدية ، مثلك ، رؤساء مهندسين لهم اختصاصاتك، ويتقاضون مرتبات مثلك . هيهات أن يصلوا الى مثل هذه النتائج . **(يشسير بيده)** هل يدفعون لك مرتبا مجزيا ؟ اعذرنى ، فقد أكون متطفلا ..

المهندس : عفوا ، لا تعتذر .. انهم يدفعون لى مرتبا متوسـطا ، حسب نص الميزانيـة . وضع سليم . تقدير لا بأس به .

بيرانجيه : ولكن براعتك كان ينبغى ان تقدر بسـعر الذهب . بل وفوق ذلك يجب أن يكون ذهبا مما قبل سنة ١٩١٤ .. حقيقيا .

المهندس (فى حركة احتجاج وتواضع) : أوه ..

بيرانجيه : بلى ، بلى .. لا تحتج أيها السيد مهندس البلدية .. ذهبا حقيقيا .. فذهب اليوم انما هو ذهب مخفض القيمة ، شأنه شأن كثير من الاشياء ، فى زماننـا الجارى ، ذهب من ورق ..

المهندس : ان دهشتك ، ان ..

بيرانجيه : بل قل اعجابى ، قل هيامى !

المهندس : اذا شئت . ان هيامك ، فى الواقع ، يؤثر فى نفسى . أشكرك على ذلك ، يا عزيزى السيد .. **(ينحنى المهندس شاكرا ، بعد أن بحث فى جيبه عن بطاقة قد قيد عليها اسم بيرانجيه بلا شك ، لانه ــ وهو ينحنى ــ يقرأ**

من البطاقة الاسم الذى ينطق به) : بيرانجيه .

بيرانجيه : بكل اخلاص أنا هيمان ، بكل اخلاص ، انى أقسم لك على أنه ليس من طبعى أن أغدق التحيات .

المهندس : **(يبالغ فى التحية ولكن بتكلف)** : اننى ممنون جدا ، جدا ، جدا !

بيرانجيه : هذا شىء رائع ! **(يسرح البصر حوله)** أترى ، لقد قالوا لى مع ذلك قولا مؤكدا ، فلم أصدق الخبر .. أو بالاحرى لم يقولوا لى شيئا ، وانما كنت أعلم بالامر ، كنت أعلم انه يوجد فى مدينتنا القاتمة ، وسط أحياء الحداد ، والتراب ، والوحل ، هذا الحى الوضاح ، هذا القسم الممتاز ، بشوارعه المشمسة ، وطرقاته المتلألئة بالنور .. هذه المدينة المنيرة فى المدينة ، هذه المدينة التى شيدتها ..

المهندس : انها نواة ينبغى — أو بالأحرى كان ينبغى ، من حيث المبدأ — أن تتسع . لقد قمت بتخطيطها بناء على أمر من البلدية . فأنا لا أبيح لنفسى أن اخرج بمشروعات شخصية

بيرانجيه (يواصل حديثه المنفرد) : لقد كنت أومن بهذا دون أن أصدقه . كنت أعلم بهـذا دون أن أعـرفه ! كنت أخاف الأمل .. « الأمل » ، انه كلمة لم تعد فرنسية ، ولا بولونية .. لعلها بلجيكية .. ولكن هيهات ..

المهندس : انى فاهم ، انى فاهم !

بيرانجيه : وبرغم ذلك ، فها أنا ذا فيها . واقع مدينتك المنيرة لا يقبل الجدل . ان المرء ليلمسها باصبعه . هـذا الضوء الازرق يبدو كأنه طبيعى تماما .. زرقة ، وخضرة ، أوه ، هذا العشب ، وهذه الازهار الوردية ..

المهندس : نعم ، هذه الازهار الوردية انما هى ورد .

بيرانجيه : ورد حقيقى ؟ **(يتمشى على خشبة المسرح ،**

يشير باصبعه ، يشم الازهار ، الخ .) وهـذا مزيد من الزرقة ، ومزيد من الخضرة .. انها ألوان الفرح . وياله من هدوء ، ياله من هدوء !

المهندس : انها القاعدة فى هذه الناحية ، يا عزيزى السيد .. (**يقرأ المكتوب على البطاقة**) .. بيرانجيه . انه شىء محسوب ، متعمد . لقد قدر ألا يترك شىء للمصادفة فى هذا الحى ، فالجو دائما جميل .. ولذلك تباع قطع الارض – او على وجه أصح « كانت » تباع – بأثمان مرتفعة جدا . ان « الفيلات » مبنية بأحسن المواد .. انها شىء متين ، متقن الصنع .

بيرانجيه : لابد ان المطر لا يسقط ابدا فى هذه البيوت .

المهندس : مطلقا ! هذا اهون الامور . فهل يسقط المطر فى بيتك ؟

بيرانجيه : نعم ، للاسف ، باسيدى المهندس !

المهندس : هذا شىء ما كان ينبغى ان يحدث ، حتى فى حيك . سوف أرسل الى هناك أحد رؤساء العمال .

بيرانجيه : أعنى أن المطر ربما لا يسقط عندى فعلا . انما تلك عبارة كلامية . فرطوبة البيت قد اشتدت كأن المطر يسقط فيه .

المهندس : ارى ذلك ، انه مطر معنوى . على كل حال ، هنا ، فى هذا الحى ، لا يسقط المطر ابدا . ومع ذلك ، فكل جدران المساكن التى تراها ، وكل السقوف ، معـزولة ، بحكم العادة ، وارضاء للضمير . انه اجراء لا ينفع ، ولكننا نتخذه جريا على تقليد قديم .

بيرانجيه : أتقول ان المطر لا يسقط أبدا ؟ وهذا النبات ، هذا العشب ؟ والاشجار لا توجد بها ورقة واحدة جافة ، والحدائق لا توجد فيها زهرة واحدة سقيمة !

المهندس : انها تروى من تحت .

بيرانجيه : عجب الفن ! اعذر ذهول جاهل مثلى ..

(بيرانجيه يجفف بمنديل ما على جبهته من عرق .)

المهندس : الا اخلع معطفك ، ضعه على ذراعك ، لقد اشتد عليك الحر .

بيرانجيه : بالفعل ، نعم .. ما عدت أشعر بالبرد مطلقا .. شكرا ، شكرا على نصيحتك . **(يخلع معطفه ، ويضعه تحت ذراعه ، ويظل محتفظا بقبعته على رأسه ، واثناء قيامه بهذه الحركات يتطلع الى أعلى)** ان اوراق الشجر كبيرة الحجم بحيث تدع النور يتسلل وبحيث لا تلقى الظلام على الواجهات . انما هذا شيء مدهش اذا ذكرنا ان السماء فى باقى أجزاء المدينة كلها سماء رمادية كشعر عجوز شمطاء ، وان هناك جليدا قذرا على أطراف الارصفة ، وان هناك الريح تعصف . هذا الصباح شعرت ببرد قارس عندما استيقظت . كنت مثلوجا . فالمدفآت كثيرة العطب فى العمارة التى اسكنها ، ولا سيما فى الطابق الارضى . وهى تزداد عطبا اذا لم توقد فيها النار .. وفى هذا مايدلك على..

(نسمع رنين تليفون صادرا من جيب المهندس . المهندس يخرج من هذا الجيب سماعة ، يرفعها الى أذنه ، ويظل طرف من السلك التليفونى فى الجيب .)

المهندس : الو ؟

بيرانجيه : اعذرنى ، يا سيدى المهندس ، انى اعوقك عن اداء عملك ..

المهندس (فى التليفون) : الو ؟ **(الى بيرانجيه)** كلا .. لقد خصصت ساعة لتزور الحى معى . انك لا تزعجنى على الاطلاق . **(فى التليفون)** الو ؟ نعم اناعلىعلم بهذا . اخطروا الوكيل . وهو كذلك . فليحقق ، ما دام مصرا على هذا

الرأى . فليتخذ الاجراءات . انني مع السيد بيرانجيه لزيارة المدينة المنيرة . (**يعيد الجهاز الى جيبه . ثم يخاطب بيرانجيه ، الذى ابتعد عنه بضع خطوات هائما مفتونا)** ماذا كنت تقول ؟ هيه ، أين أنت ؟

بيرانجيه : هنا ، معذرة . ماذا كنت اقول ؟ آه ، نعم .. أوه ، ان هذا لا يستحق الذكر الآن .

المهندس : هيا . قل مع ذلك .

بيرانجيه : كنت أقول .. آه ، نعم .. في حيي ، وفي بيتي بوجه خاص ، كل شيء رطيب : الفحم ، والخبز ، والريح ، والنبيذ ، والجدران ، والهواء ، بل والنار . ما أشد ماعانيت هذا الصباح لكي انهض ، لقد قمت بمجهود عظيم . كانت عملية شاقة جداً . ولو لم تكن الأغطية كذلك رطيبة ، لما حزمت أمري . كنت لا أتصور أنني ، فجأة ، بمثل قدرة السحر ، سأرى بنفسي قلب الربيع ، في تمام شهر ابريل ، في ربيع احلامي .. اقدم احلامي ..

المهندس : أحلام ! (**يهز كتفيه**) على كل حال ، كان خيرا لك لو أتيت قبل ذلك ، لو أتيت قبل أن ..

بيرانجيه (يقاطعه) : اجل ، فقد اضعت وقتا طويلا ، هذا صحيح .. (**بيرانجيه والمهندس يواصلان المشي على خشبة المسرح . على بيرانجيه أن يوحى بأنه يجتاز شوارع فسيحة ، وممرات ، وحدائق . المهندس يتبعه ، بخطوات ابطأ . وقد يعمد بيرانجيه في لحظات معينة الى ان يلتفت وراءه ليخاطب المهندس بصوت أقوى . ينبغي ان يظهر أنه ينتظر حتى يقترب المهندس . انه يشير بيده ، في الفضاء**)

أوه ، يا للبيت اللطيف ! الواجهة لذيذة ، يعجبني نقاء الطراز . اهو طراز القرن الثامن عشر ؟ لا ، طراز الخامس عشر ،

ام نهاية التاسع عشر ؟ على كل حال انه « كلاسيك » ، وخصوصا يالهامن اناقة ، يالها من اناقة .. أجل ، لقد ضيعت وقتا طويلا ، ترى هل تقدم الوقت جدا ؟ .. لا .. بلى .. لا ، أظن أننا لم نتأخر أكثر مما يجوز ، ما رأيك ؟

المهندس : انا لم افكر فى الموضوع .

بيرانجيه : انى ابلغ من العمر خمسة وثلاثين عاما ، يا سيدى المهندس ، خمسة وثلاثين .. اقول لك الحق ؟ انى أبلغ الأربعين ، الخامسة والأربعين .. بل وربما زدت على ذلك ..

المهندس : **(ناظرا الى البطاقة)** : نحن نعرف هذا . فسنك مبينة على بطاقتك . ولدينا جميع الملفات .

بيرانجيه : حقا ؟ .. اوه !

المهندس : هذا شىء طبيعى ، فهى لازمة لنا من اجل تحقيق الشخصية ، ولكن لا تقلق . ان القانون لا ينص على عقوبات لهذا النوع من التخفى ، من التصابى .

بيرانجيه : آه أحسن ! على أى حال ، انا اذا لم أعلن الا خمسة وثلاثين عاما ، فليس هذا على الاطلاق لخداع مواطنى ، ففيم يعنيهم ذلك ؟ انما هذا لخداع نفسى . فبهذه الطريقة ، اتعاطى الايحاء ، وأظن اننى انضر شبابا ، فأزداد عزيمة ..

المهندس : هكذا يفعل البشر ، هذا شىء طبيعى .

(ينطلق رنين تليفون الجيب ، فيتناول المهندس الجهاز .)

بيرانجيه : آه ، يا لهذه الحصباء اللطيفة !

المهندس (فى السماعة) : الو . امرأة ؟ خذوا اوصافها . سجلوا . ارسلوا لقلم الاحصاء ..

بيرانجيه (مشيرا باصبعه الى ركن خشبة المسرح ، من الناحية اليسرى) : ماذا هناك ؟

المهندس (فى التليفون) : لا ، لا ، لا توجد تنبيهات اخرى . ما دمت هنا ، لا يمكن ان يحدث شيء آخر .. (**يضع السماعة فى جيبه ، ثم يخاطب بيرانجيه**) معذرة ، انى أصغى اليك .

بيرانجيه (نفس الحركة) : ما هذا الذى هناك ؟

المهندس : آه ، هذا .. انه بيت زجاجى .

بيرانجيه : بيت زجاجى ؟

المهندس : نعم . للازهار التى لا يلائمها مناخ معتدل ؛ الازهار التى تحب البرد . اننا نخلق لها مناخا شتويا . ومن وقت الى آخر نسلط عليها عواصف صغيرة .

بيرانجيه : آه ، كل شيء مقدر .. اجل ، يا سيدى ، أنا ربما أبلغ من العمر ستين سنة ، سبعين سنة ، ثمانين سنة ، مائة وعشرين سنة ، من يدرينى ؟

المهندس : معنويا !

بيرانجيه : هذا يترجم ايضا طبيعيا . فعلة البدن من علة النفس . هل أخلط فى القول ؟

المهندس : الى حد معقول . مثل جميع الناس .

بيرانجيه : اشعر اننى عجوز . فالزمن معنى شخصى قبل كل شيء . او على الاصح ، كنت اشعر اننى عجوز ، لاننى منذ هذا الصباح انسان جديد . انى متأكد من ان نفسى قد ردت الي ، والدنيا قد صارت هى الدنيا . ان قدرتك هى التى صنعت هذا . نورك السحرى ..

المهندس : اضاءتى الكهربائية !

بيرانجيه : .. مدينتك المنيرة ! (**يشير باصبعه الى مدى قريب جدا**) انها قدرة هذه الجدران النقية المكسوة بالورد ، تحفتك ! آه نعم ، نعم ، نعم . فلم يضع شيء قط ، اننى الآن على يقين من ذلك .. غير انى أتذكر

ان شخصين او ثلاثة اشخاص قد حدثونى ، فعلا ، عن المدينة المشرقة : كان البعض يقولون انها قريبة جدا ، والآخرون يقولون انها بعيدة جدا . وان الوصول اليها سهل وصعب ، وانها حى محظور . .

المهندس : غير صحيح !

بيرانجيه : وانه لا توجد وسائل مواصلات . .

المهندس : هذا غباء . ان محطة الترام هنالك ، فى آخر الطريق الرئيسى .

بيرانجيه : اجل ، طبعا ، طبعا ! اننى اعلم « الآن » . لقد مضيت ــ لمدة طويلة ، أؤكد لك ــ أحاول « عن وعى أو غير وعى » ان اجد الاتجاه . كنت امشى حتى آخر شارع من الشوارع ، واذا بى ارى انه ممر مسدود . كنت ادور حول الجدران ، وأحاذى الاسوار ، فأصل الى النهر ، بعيدا عن الجسر ، فيما وراء السوق والابواب . أو كنت التقى احيانا ، فى بعض الطريق ، باصدقاء لم يرونى منذ ايام خدمتنا فى الجيش : فكنت اضطر للوقوف كى أثرثر معهم ، ويتقدم الوقت ، ويحين موعد رجوعى . ختاما ، دعنا من التفكير فى ذلك ، فها انا ذا الآن فيها . اننى مطمئن .

المهندس : لقد كان الامر فى غاية البساطة . كان يكفى ان ترسل الى كلمة ، ان تكتب رسميا لادارة البلدية ، فتتولى الاقلام التابعة لى موافاتك « فى خطاب مسجل ، بجميع المعلومات اللازمة .

بيرانجيه : أجل ، انما كان ينبغى أن تخطر لى هذه الفكرة ! على كل حال ، لا ينفع التحسر على السنين المضيعة . .

المهندس : وكيف اهتديت اليوم الى الطريق ؟

بيرانجيه : بمحض الصدفة . لقد ركبت الترام ، بالذات .

المهندس : الم اقل لك ؟

بيرانجيه : ركبت تراما من قبيـل الخطأ وانا اريد ان اركب غيره ، وكنت موقنا انني لم اتجه الاتجاه الصحيح . ومع ذلك فقد كان هذا هو الاتجاه الصـحيح ، عن خطأ ، خطأ موفق سعيد ..

المهندس : سعيد ؟

بيرانجيه : فهل هو غير سعيد ؟ اوه ، بلى ، انه لسعيد وسعيد جدا .

المهندس : على كل حال ، وباختصار ، سوف ترى فيما بعد .

بيرانجيه : لقد رأيت فعلا ما أقنعني .

المهندس : على كل حال ، اعلم انه يجب ان يذهب المرء دائما الى نهاية الخط . في جميع الظروف . وكل خطوط الترام تؤدي الى هنا : فانه المخزن .

بيرانجيه : فعلا . لقد تركني الترام هناك ، في المحطة . وفي الحال تعرفت ــ وان كنت لم ارها ابدا من قبـل ــ الشوارع الفسيحة ، والبيوت المزهرة ، وتعرفتك انت الذي كان يبدو عليك انك في انتظاري .

المهندس : كنت قد اخطرت بقدومك .

بيرانجيه : ما أروع هذا التبدل من حال الى حال ! كأني قد انتقلت جنوبا الى مكان بعيد ، بعيد الف كيلو متر أو الفين . كون آخر ، عالم مسحور ! ودون بلوغه ، لا حاجة الى غير هذه الرحلة الصغيرة جدا ، رحلة لا تعتبر رحلة لاننا يمكن ان نقول اننا نقوم بها في نفس المقام .. (**يضحك ، ثم يتحرج :**) معذرة عن هذه النكتة الصغيرة السخيفة ، انها ليست لاذعة الفكاهة .

المهندس : هون عليك ! لقد سمعت اسخف منها . اني

اضيف هذا الى حساب فرحتك ..

بيرانجيه : انا لست من ذوى العقليات العلمية . ولهـذا بلا شك ، لا أستطيع أن أفسر لنفسي — رغم شروحك الوجيهة — كيف يكون الجو صحوا دائما في هـذا المكان ! لعل من الاسباب ايضـا — ولا بد ان هـذا مما يسر لك الامور — ان المنطقة محمية اكثر من سواها ؟ لا توجد تلال مع ذلك ، فيما حولها ، لوقايتها من تقلبات الجو ! على كل حال ، ان التلال لا تطرد السحب ، ولا تمنع سقوط المطر ، يعرف ذلك اى انسان كان . فهل توجد تيـارات دافئة ونورانية آتية من جهة اصلية خامسة او من ارتفاع ثالث ؟ لا ، اليس كذلك ؟ على أى حال لو كان ذلك موجودا لعرفه الناس . انني غبى . فليس يهب هنا أى نسيم ، مع ان الهواء عاطر . انه أمر عجيب ، ياسيدى مهندس البلدية ، امر عجيب جدا !

المهندس (مدليا بمعلومات المختص) : لا يوجد اى شيء غير عادى ، والامر كما اقول لك ، انها الصـنعة الفنية !! حاول اذن أن تفهم . كان اصلح لك لو درست فى احدى مدارس الشباب . هنا ، بكل بسـاطة ، جزيرة صغيرة ، مزودة بمراوح خفية اتخذت نموذجها مما فى تلك الواحات المنتشرة فى كل مكان تقريبا .. فى الصحارى ، حيث تطلع عليك ، فجأة ، وسط الرمال الجرداء ، مدائن مدهشة ، تكسوها الورود الندية ، وتمنطقهـا الينابيع ، والانهـار ، والبحيرات ...

برانجيه : آه ، أجل .. هذا صحيح . انك تتحدث عن مدائن تسمى ايضا بالسراب . لقـد قرات بعض روايات المستكشفين عن هذا الموضوع . السراب .. انه حقيقة واقعة . ازهار النار ، واشجار اللهب ، وغدران النور ،

لا توجد حقائق سواها ، في الواقع ، انني شديد الاقتناع بها . وهناك ؟ ما هذا ؟

المهندس : هناك ؟ اين هناك ؟ آه ، هناك ؟

بيرانجيه : كأنه حوض . **(تظهر الاضاءه ، في مؤخرة المسرح ، شكلا تقريبيا لحوض يتجلى في اللحظة التي تلقى فيها الكلمة .)**

المهندس : اوه .. طبعا ، اجل . حوض . لقد احسنت الرؤية . انه حوض . **(ينظر الى ساعته)** أظن أنه مازال عندي متسع من الوقت .

بيرانجيه : هل يمكن ان نذهب الى هناك ؟

المهندس : أنت تود أن تراه من قريب ؟ **(يبدو عليه التردد)** طيب . ما دمت حريصا على ذلك . على أن أريك اياه .

بيرانجيه : او بالاحرى .. انى لا ادرى ماذا اتخير .. فكل شيء بديع جدا ... أنا أحب حياض الماء ، ولكنى أحس أن غيضة أشجار « الزعرور » المزهرة هذه تجتذبنى . اذا شئت ، نؤجل رؤية الحوض .

المهندس : كما تشاء !

بيرانجيه : انى أهوى الزعرور .

المهندس : قرر .

بيرانجيه : نعم ، نعم ، هيا الى الزعرور .

المهندس : انى رهن تصرفك .

بيرانجيه : لا يمكن أن ترى كل شيء دفعة واحدة .

المهندس : هذا صحيح جدا . **(يختفى الحوض . يخطوان بضع خطوات) .**

بيرانجيه : يا لها من رائحة حلوة ! اتعلم ، يا سيدى المهندس ؟ انا .. اعذرنى اذ اكلمك عن نفسى .. فالمرء يستطيع أن يبوح بكل شيء لمهندس ، انه يفهم كل شيء ...

المهندس : تفضل ، تفضل ، لا تتحرج .

بيرانجيه : شكرا ! اتعلم ، ما أشد حاجتى الى حياة أخرى، الى حياة جديدة . اطار آخر ، زخرف آخر .. زخرف آخر ، ستظن أن هذا شيء هين وان .. امتلاك شيء من المال، مثلا ..

المهندس : لا طبعا ، لا طبعا ..

بيرانجيه : بلى ، بلى ، انك جم الادب .. فالزخرف ، ليس سوى شيء سطحى ، جمالى ، ان لم يكن الامر — كيف أقول ؟ — أمر زخرف ، جو يلائم حاجة داخلية ، ويكون على نحو ما ..

المهندس : انى أرى ، انى أرى ..

بيرانجيه : انبثاقا ، امتدادا للكون الجوانى . ولكن ، دون أن يتمكن من الانبثاق ، هذا الكون الجوانى ، لابد له من عون خارجى يقدمه نور معين موجود ، طبيعى ، ينبعث من عالم هو — موضوعيا — عالم جديد . جو نقى ، وسماء زرقاء ، وربيع ، تناسب الكون الداخلى ، الذى فيه يستطيع هذا الكون أن يتعرف نفسه ، ويكون كأنه ترجمته أو كأنه سبقه ، أو مراياه التى فيها يمكن لابتسامته الخاصة أن تنعكس .. التى فيها يمكن أن يتعرف نفسه ويقول : ها هو ذا ما أنا عليه فى الحقيقة وما نسيته ، كائن باسم فى عالم باسم .. الخلاصة أن تعبيرى « عالم داخلى » و « عالم خارجى » تعبيران غير دقيقين ، فلا توجد حدود حقيقية بين هذين العالمين المزعومين . يوجد حافز اول ، بداهة ، يصدر عنا ، وحينما يعوزه التعبير الخارجى ، حينما يقصر عن تحقيق وجوده موضوعيا ، حينما لا يكون الاتفاق تاما بين « أنا » الداخلى و « أنا » الخارجى ، فانها الكارثة ، انه التناقض العام ، انه الانفصام .

المهندس (وهو يحك رأسه) : يا لالفاظك الفنية ! اننا لا نتكلم نفس اللغه .

بيرانجيه : ما كنت أستطيع أن أواصل العيش ، دون أن أستطيع الموت مع ذلك . لحسن الحظ ، كل شيء سيتغير الآن .

المهندس : رويدك ، رويدك !

بيرانجيه : اعذرني ، . انى أنحمس .

المهندس : تلك احدى الصفات التى تميز طبعك .. انك من فئة أصحاب الامزجة الشاعرية . ولا شك أنه من اللازم وجود أمثالك ، ما دام ذلك موجودا .

بيرانجيه : منذ سنين وسنين ، جليد قذر ، وريح لاذعة ، ومناخ لا يرعى حرمة المخلوقات .. شوارع ، بيوت ، احياء بأكملها ، أهلها ليسوا حقيقة أشقياء ، وانما هم أتعس حالا ، ناس لا هم بالسعداء ولا هم بالاشقياء ، وجوه قبيحة لانها ليست بالقبيحة ولا بالجميلة ؛ كائنات قابعة بين بين ، يأكلها الحنين وليس بما تحن اليه ، كأنها معدومة الوعى ، تتألم - بلا وعى - من وجودها . أما أنا فكنت أعى ضيق الوجود . ربما لانني أكثر ذكاء ، أو أقل ذكاء على العكس ، أقل حكمة ، أقل اذعانا ، أقل صبرا . أهذا عيب ؟ أهذه صفة حميدة ؟

المهندس (يؤدى حركات تدل على نفاد صبره) : هذا حسب الموضوع ..

بيرانجيه : لا يستطيع المرء أن يعرف . انه شتاء الروح ! انا أعبر تعبيرا مبهما ، أليس كذلك ؟

المهندس : لا يمكنني أن أقطع برأى . فهذا لا يدخل فى دائرة اختصاصاتى . ان مرفق المنطق هو الذى يتــــولى هذا الامر .

بيرانجيه : لست أدرى هل يعجبك انطلاقى .

المهندس (بلهجة جافة) : بلى ، وكيف لا يعجبنى ؟

بيرانجيه : هو ذاك . هو ذاك : فلقد كانت ، قديما ، فى نفسى ، تلك البؤرة القوية من الحرارة الداخلية ؛ التى ما كان البرد يستطيع دونها شيئا . كان شباب ، ربيع ما كانت تستطيع أن تعضه فصول الخريف . نور ساطع ، ينابيع نورانية من الفرح كنت أظن أنها لن تنضب . لم تكن تلك هى السعادة ، فانى أقول : الفرح ، الهناء الذى كان يجعلنى أستطيع أن أعيش .. **(رنين التليفون فى جيب المهندس)** .. كانت هناك طاقة ضخمة .. **(المهندس يخرج التليفون من جيبه)** .. حافز .. لابد أن هذا كان هو الحافز الحيوى ، أليس كذلك ؟

المهندس (وقد رفع السماعة الى أذنه) : آلو ؟

بيرانجيه : وبعد ذلك ، هذا ، كل هذا قد انطفأ ، قد تحطم ..

المهندس (فى التليفون) : آلو ! عظيم ، عظيم ، عظيم !.. لابد أن هذا لم يبدأ من أمس .

بيرانجيه (يواصل حديثه الفردى) : لابد أن هذا قد بدأ منذ .. منذ .. ما عدت أدرى متى .. منذ وقت طويل جدا ، جدا .. **(يعيد المهندس وضع السماعة فى جيبه ويؤدى من جديد حركات تدل على نفاد صبره ، يذهب الى « الكواليس » ، من الناحية اليسرى ، فيحضر كرسيا ويضعه فى الركن ، الى اليسار ، حيث كان البيت الزجاجى المفروض)** .. لابد قد انقضت على ذلك قرون .. أو ربما فقط بضع سنين ، أو ربما كان ذلك بالأمس ..

المهندس : أرجو أن تعذرنى ، فعندى أمور عاجلة ينبغى أن أصرفها فى المكتب . اسمح لى بأن أعود الى هناك . **(يخرج من الجهة اليسرى . تنقضى برهة)** .

بيرانجيه (وحده) : أوه .. سيدى المهندس ، حقا انى اعتذر ، انى ..

المهندس (يرجع ، ومعه منضـــدة صغيرة يضعها أمام الكرسى ، ويجلس ، ويخرج جهاز التليفون من جيبه فيضعه على المنضـــدة ويبسط حافظة أوراقه أمامه .) : على بدورى أن أعتذر .

بيرانجيه : أوه ، اننى خجل .

المهندس : هون عليك .. فان لى أذنين : احداهما للعمل ، والأخرى أخصصها لك . واحدى عينى أيضا لك . والأخرى للبلدية .

بيرانجيه : أفلا يرهقك هذا ؟

المهندس : لا تقلق . انى معتـــاد على ذلك . هيا ، أكمل حديثك . **(يخرج من حافظة الأوراق ـ أو يتظاهر بأنه يخرج ـ ملفات يضعها على المنضدة ويفتحها ، أو يتظاهر بأنه يفعل ذلك .)** انى منصرف الى ملفاتى ، واليك أيضا . لقد كنت تقول انك لا تدرى الى أى عهد يرجع تاريخ انقطاع حافزك !

بيرانجيه : بالتأكيد ليس من أمس . **(يواصل تجوله دائرا حول المهندس الذى استـــــغرق فى ملفاته .)** لقد ابتعد ذلك العهد حتى كدت أنسى ، حتى ليخيل الى أن الأمر مجرد وهم ، ومع ذلك فلا يمكن أن يكون الأمر وهمـــا ما دام غيابه قد خلف فى نفسى شعورا رهيبا .

المهندس (وهو مستغرق فى ملفاته .) : واصل حكايتك .

بيرانجيه : لا أستطيع أن أحلل تلك الحالة ، بل لست أدرى أيمكن ان يقف غيرى على التجربة التى عشتها . انها تجربة لم تنتبنى كثيرا . لقد ألمت بى خمس أو ست مرات ، وربما عشر مرات ، فى حياتى ، بما يكفى مع ذلك لان تغمر ـ فرحا ويقينا ـ لا ادرى أى خزانات تنطوى عليها الروح . فعندما كنت

أميل الى الكآبة ، اذا بذكرى هذا الاشراق الباهر ، هذه الحالة النورانية ، تبعث فى نفسى القوة ، واسباب الحياة بلا اسباب ، وحب .. حب ماذا ؟ حب كل شيء ، فى هيام ..

المهندس (فى التليفون) : ألو ، نفدت الكمية المخزونة !

بيرانجيه : واحسرتاه ، نعم ، يا سيدى .

المهندس (وقد وضع السماعة) : لم أقل ذلك لك ، انه شيء يختص بملفاتى .

بيرانجيه : وهذا حقيقى ايضا بالنسبة لى ، يا سيدى ، فالخزانات قد فرغت . وأما عن النور ، فيمكن اعتبارى من ذوى الدخل القليل . سأحاول ان أقول لك .. هل أنا أثقل عليك ؟

المهندس : اننى أسجل ، تلك هى مهنتى . أكمل حديثك ، لا تتحرج .

بيرانجيه : انما كان يحدث لى ذلك فى آخر الربيع ، أو فى أول أيام الصيف ، قرب الظهر ، وكان ذلك يجرى فى صورة بسيطة كل البساطة ، وهى فى الوقت نفسه مدهشة غاية الدهشة . لقد كانت السماء فى صفاء هذه السماء التى عرفت كيف تكسو بها مدينتك المنيرة ، ياسيدى المهندس . اجل ، كان ذلك يجرى فى سكون عجيب ، فى ثانية طويلة جدا من السكون ..

المهندس (وهو لا يزال منصرفا الى ملفاته) : حسن . عظيم .

بيرانجيه : آخر مرة ، لابد اننى كنت فى السابعة عشرة من عمرى ، فى الثامنة عشرة ، وكنت فى مدينة صغيرة من مدن الريف .. ما هى ؟ ماهى ، يا الهى ؟ .. انها فى مكان ما من الجنوب ، فيما أظن .. بالاختصار ، ليس لهذا أهمية ، فالامكنة لا تكاد تعنينا ، وكنت أتمشى فى شارع ضيق ، قديم

وجديد فى وقت واحد ، على جانبيه بيوت واطئة ، بيضاء كلها ، قد غابت فى أفنية ، أو فى حدائق صغيرة ، ذات اسوار من خشب ، قد طليت باللون .. الاصفر الفاتح ، هل كان هو اللون الاصفر الفاتح ؟ وكنت بمفردى فى الشارع . كنت سائرا بحذاء الاسوار ، والبيوت ، وكان الجو صحوا ، غير شديد الحر ، وكانت الشمس فوق رأسى ، عالية جدا فى زرقة السماء . كنت أسير سيرا حثيثا ، نحو أية غاية ؟ لا أعرف الآن . وشعرت شعورا عميقا بالسعادة التى يجدها الانسان فى مجرد أنه يحيا . كنت قد نسيت كل شىء ، وما عدت أفكر فى شىء الا فى تلك البيوت ، تلك السماء العميقة ، تلك الشمس التى بدا أنها قد اقتربت ، وصارت فى متناول يدى فى هذا العالم الذى شيد على قدى .

المهندس (ناظرا الى ساعته) : انها لم تأت بعد ، ان هذا لشىء غريب ! مزيد من مرات التأخير !

بيرانجيه (مواصلا حديثه) : وفجأة اشتد الفرح ، جارفا كل الحدود ! أوه ، لقد اجتاحتنى فرحة فوق كل تعبير ، واشتد سطوع النور ، دون ان يفقد شيئا من رقته ، لقد صار من الغزارة بحيث يمكن استنشاقه ، صار هو الهواء نفسه ، أو شرابا يرشف ، كماء شفاف .. كيف أصف لك البهاء الذى لا مثيل له ؟.. كأنما كانت تسطع فى السماء أربع شموس ..

المهندس (يتكلم فى التليفون) : ألو ؟ هل رأيتم « سكرتيرتى » اليوم ؟ هنا اكداس من العمل فى انتظارها [*]

(يضع السماعة فى غضب .)

بيرانجيه : وكأن البيوت التى كنت أحاذيها بقع غير مادية على وشك الذوبان فى النور الاكبر الذى كان يسود كل شىء .

المهندس : لسوف أصفعها بغرامة رادعة !

بيرانجيه : انك ترى ماذا اعنى .

المهندس (شـــارد الذهن) : تقريبا ، أن عرضـك للموضوع يبدو لى الآن اوضح .

بيرانجيه : لم يكن فى الشارع رجل ، ولا قطة ، ولا صوت ، لم يكن غيرى . **(رنين التليفون)** ومع ذلك ، لم أكن أعانى من تلك الوحدة ، فلم تكن تلك وحدة .

المهندس (فى التليفون) : وبعد ، هل وصلت ؟

بيرانجيه : طمأنينتى ، ونورى الخاص بدورهما تدفقـا فى الدنيا ، رحت اغمر الكون بنوع من الطاقة الجوية . لم يكن هناك جزىء من فراغ ، بل كان كل شىء مزيجا من الامتلاء والخفة ، توازنا كاملا .

المهندس (فى التليفون) : اخيرا ! دعها تكلمنى .

بيرانجيه : وانطلقت أنشودة النصر تتدفق من اعمـاق كيانى ، فلقد كنت موجودا ، اصبحت اعى اننى موجـود من الازل واننى لن اموت .

المهندس (فى التليفون ، كابحا جماح غضبه) : اننى رغم ذلك سعيد بان اسمع صوتك ، يا آنسة . انك لم تسرفى فى التبكير . ماذا ؟

بيرانجيه : كان كل شىء بكرا ، خالصا ، قد ردت اليـه نفسه ، كنت اشعر بعجب لا وصف له ، يخالطه شعور من الألفة القصوى .

المهندس (فى التليفون) ماذا يعنى هذا ، يا آنســـة ؟

بيرانجيه : هو ذاك ، هو ذاك .. هكذا رحت أقول لنفسى .. ولست أستطيع ان أشرح لك ماذا كانت تعنى «ذاك» ، ولـكنى اؤكد لك ، ياسيدى المهنـدس ، كنت افهم نفسى احسن الفهم .

المهندس (فى التليفون) : أنا لا أفهمك ، يا آنسة . ليس لديك اى سبب لتذمر منا . انما الحال – على الاصح – هو العكس .

بيرانجيه : كنت اشعر اننى هناك ، على ابواب الكون ، فى وسط الكون .. لابد أن هذا يبدو لك تناقضا !

المهندس (فى التليفون) : لحظة ، من فضلك . (**الى بيرانجيه**) انى اتبعك ، انى أتبعك ، وأفصل بين الامور . لا تقلق . (**فى التليفون**) انى انصت .

بيرانجيه : مضيت اسير ، واجرى ، واصيح : انى موجود انى موجود ، كل شىء موجود ، كل شىء موجود !.. كان فى استطاعتى حقا ان اطير من فرط ما اصبحت خفيفا ، أخف من السماء الزرقاء التى كنت أستنشقها .. كان يكفى مجهود هين ، وثبة صغيرة جدا .. لكى اطير .. انى واثق من ذلك .

المهندس (يتكلم فى التليفون وهو يضرب على المنضدة بقبضة يده) : هذا تجاوز للحدود . ماذا فعلنا لك ؟

بيرانجيه : واذا كنت لم أفعل ذلك ، فلاننى كنت فى بحبوحة من السعادة ، ولم اعد أفكر فى الامر .

المهندس (فى التليفون) : تريدين ان تتركى الادارة ؟ فكرى تفكيرا سليما قبل ان تستقيلى . انك تتخلين ، بلا اسباب وجيهة ، عن سلك وظيفة لامع ! انما لديك عندنا المستقبل مضمون ، والحياة .. والحياة !! انك لا ترهبين الخطر !

بيرانجيه : وفجأة ، او ، على الاصح ، شيئا فشيئا .. لا ، على الاصح بغتة ، لست ادرى ، انما ادرى ان كل شىء قد استحال مرة اخرى رماديا أو شاحبا أو كالحا . هذا تعبير كلامى ، فقد ظلت السماء صاحية ، ولكن لم

يكن نفس الصحو ، لم تكن نفس الشمس ، لم يكن نفس الضحى ولا نفس الربيع . حركة استخفاء حدثت . ولم يعد النور الا نور كل نهار ، نورا طبيعيا .

المهندس (فى التليفون) : لايمكن الان ان تطيقى هذه الحال؟ هذا تصرف صبيانى . انى ارفض استقالتك . على كل : تعالى لانجاز كتابة ما عليك من رسائل ، ثم اشرحى لى الموضوع . انا فى انتظارك . **(يضع السماعة)**

بيرانجيه : وانفغر فى نفسى نوع من فراغ صاحب ، واستولى على حزن عميق ، كما فى لحظة فراق فاجع لا يطاق . وخرجت النسوة الى افنية البيوت ، وثقبن سمعى بأصواتهن الحادة ، ونبحت كلاب ، وشعرت باننى مهجور وسط جميع هؤلاء الناس ، وجميع تلك الاشياء ..

المهندس : انها تامة البلاهة . **(ينهض)** هذا شأنها ، على كل حال . هناك من امثالها الف يطلبن وظيفتها .. **(يجلس من جديد)** .. وحياة بلا خطر .

بيرانجيه : ومنذ ذلك الحين ، امتدشهر نوفمبر الابدى ، اصيل دائم ، اصيل الضحى ، اصيل منتصف الليل ، اصيل الظهر . لقد انتهى عهد الفجر ! ويقولون ان هذه هى الحضارة !

المهندس : فلننتظرها .

بيرانجيه : ان الشيء الذى أتاح لى ان اواصل الحياة فى المدينة القاتمة ، هو ذكرى هذا الحادث .

المهندس (الى بيرانجيه) : لعلك مع ذلك قد خرجت من هذا .. من تلك الـ .. كآبة ؟

بيرانجيه : خروجا ليس كاملا . ولكنى آليت على نفسى الا أنسى فى أيام حزنى ، أيام هبوطى العصبى أو تحيرى ، سوف اذكر — كما قلت لنفسى — هذه اللحظة النورانية

الخليقة بان تبعث فى الجلد على كل شىء ، والتى لابد قد كانت سبب وجودى ، سندى . ومرت سنوات كنت طوالها واثقا ..

المهندس : واثقا من أى شىء ؟

بيرانجيه : واثقا من اننى كنت واثقا .. ولكن هذه الذكرى لم تكن من القوة بحيث تقاوم الزمن ..

المهندس : يبدو لى مع ذلك ..

بيرانجيه : انك تخطىء ، يا سيدى المهندس . فالذكرى التى احفظها للحادث ماهى الا ذكرى الذكرى ، كفكرة قد أصبحت خارجية بالنسبة لى ، كقصة قد رواها سواى ، صورة ذابلة عجزت عن ان ارد اليها الحياة .. لقد نضب ماء الينبوع ، وكنت اموت عطشا .. ولكن لابد انك انت تفهمنى احسن الفهم ، فهذا النور ايضا فى نفسك ، انه نفس النور ، انه نورى ما دمت انت **(حركة جليلة : يشير الى شىء فى الفضاء)** قد اعدت خلقه وجعلته واقعاماديا . هذ الحى المنير ، انما قد انبثق منك .. لقد رددت لى نورى المنسى .. او مايقرب من ذلك . وانى لاشكر فضلك شكرا لاينتهى . شكرا بالاصالة عنى ، وبالنيابة عن جميع السكان .

المهندس : طبعا طبعا ، بكل تأكيد .

بيرانجيه : وليس الامر لديك ثمرة غير واقعية لخيال متحمس . وانما هى بيوت حقيقية ، احجار ، طوب ، اسمنت **(يلمس شيئا فى الفضاء)** ، هذا محسوس ، ملموس ، متين . ان منهجك هو السليم ، وطرقك عقلية . **(يتظاهر دائما بانه يتحسس جدرانا)** .

المهندس (متحسسا هو أيضا جدرانا خفيسة ، بعد أن غادر ركنه) : هذا طوب ، نعم ، ومن صنف جيد . هذا اسمنت ، ومن احسن صنف .

بيرانجيه (ياتى نفس الحـركات) : لا ، لا ، ليس الامر مجرد حلم ، فى هذه المرة .

المهندس (يظل يتحسس جدرانا غير مرئية ، ثم يتوقف وهو يرسل زفرة) : ليته كان حلما ، فربما كان ذلك هو الافضل . اما بالنسبة لى ، فسيان . انني موظف . ولكن بالنسبة لكثيرين غيرى ، قد يتحول الواقـع ـ على عكس الحلم ـ الى كابوس ..

بيرانجيه (يكف ، هو ايضا ، عن تحسس الجدران غير المرئية ، وقد اخذته دهشة شديدة) : فلماذا ؟ ماذا تعنى ؟ **(يعود المهندس الى ملفاته .)**

بيرانجيه : على كل حال ، اننى سعيد اذ لمست باصبعى واقع ذكراى . انى فى مثل صبـاى منذ مائة سـنة . واستطيع ان اصبح من جديد عاشقا .. **(يتجه ناحية الكواليس ، يمينا)** يا آنسة ، أيتها الآنسـة ! هل تريدين ان تتزوجيني ؟ **(عند نهاية هذه العبارة الاخيرة بالضبط ، تدخل ، من الجهة اليمنى ((دانى)) ، سـكرتيرة المهندس الشقراء .)**

المهندس (الى دانى وهى تدخل) : آه ، ها أنت ذى ، ان علينا ان نتحادث .

دانى (الى بيرانجيه) : أترك لى فرصة للتفكير ،على الاقل!

المهندس (الى بيرانجيه) : سكرتيرتى ، الآنسة دانى . **(الى دانى)** السيد بيرانجيه .

دانى (فى شرود ، وشيء من الاضطراب) : تشرفنا !

المهندس (الى دانى) : نحن لانحب التأخير ، يا آنسة . فى الادارة . ولا التدلل كذلك .

بيرانجيه (الى دانى التى تمشى لتضع آلتها الكاتبة على

المنضدة وتحضر كرسيا من كواليس الجهة اليسرى) :
اسمه « دانى » ، ياله من اسم لطيف ! هل فكرت ، الان ؟
ان جوابك « نعم » ، أليس كذلك ؟

دانى (الى المهندس) : لقد قررت الرحيل ، يا سيدى .
انى فى حاجة الى عطلة ، فانى متعبة .

المهندس (بلهجة معسولة) : اذا لم يكن الامر الا هذا ،
يكفى ان تخبرينا . يمكن ان نتصرف . هل تريدين عطلة
لمدة ثلاثة ايام ؟

بيرانجيه (الى دانى) : جوابك « نعم » ، أليس كذلك ؟
... ثم انت حسناء ..

دانى (الى المهندس) : ينبغى ان استريح مدة اطول
بكثير .

المهندس (الى دانى) : سوف استطلع رأى الادارة
العامة ، اننى استطيع ان احصل لك على اسبوع بنصف
المرتب .

دانى (الى المهندس) : انى محتاجة لان استريح نهائيا .

بيرانجيه (الى دانى) : انى احب الفتيات الشقراوات ،
والوجوه المشرقة ، والعيون الزرقاء ، والسيقان الطويلة !

المهندس : نهائيا ؟ عجبا ، عجبا !

دانى (الى المهندس) : انى اريد بوجه خاص ان اجد
عملا آخر . فلم يعد فى استطاعتى ان اطيق هذه الحال .

المهندس : آه ، هو ذاك اذن ؟

دانى (الى المهندس) : نعم ، يا سيدى .

بيرانجيه (الى دانى ، بانطلاق) : قلت نعم ! اوه ،
يا آنسة دانى ..

المهندس (الى بيرانجيه) : انها لا تخاطبك ، انها تخاطبنى .

دانى (الى المهندس) : كنت ارجو دائما ان تتغير الحال .

ولكن الامور ظلت فى وضعهـــا حتى الآن . ولست ارى تحسينا ممكنا .

المهندس : فكرى — أكرر لك ذلك — فكرى تفكيرا سليما . اذا أصبحت غيرموظفة فىخدماتنا، لن تتولى الاداره حمايتك . هل تعرفين ذلك ؟ هل تدركين حقا مدى الأخطار التى تتربص لك ؟

دانى : نعم ، يا سيدى ، اننى فى مكانى أدرى الناس بذلك .

المهندس : فهل تتحملين تبعة ما تتعرضين له ؟

دانى : انى أتحملها ، نعم يا سيدى .

بيرانجيه : أجيبينى بنعم أنا أيضا . ما ألطفك اذ تقولين نعم .

المهندس (الى دانى) : انى أتخلى اذن عن كل مسئولية . ها أنت ذى على بينة .

دانى (الى المهندس) : لست صماء ، لقد فهمت ، لاداعى لأن تكرر لى القول ستة وثلاثين ألف مرة !

بيرانجيه (الى المهندس) : ما أرقها ! عذبة ! **(الى دانى)** يا آنسة ، سوف نسكن هنا ، فى هذا الحى ، فى هذه « الفيلا » ! سوف نكون أخيرا سعيدين .

المهندس (الى دانى) : انك لا تريدين أن تغيرى رأيك . أليس كذلك ؟ انها فكرة طائشة !

دانى (الى المهندس) : لا يا سيدى .

بيرانجيه (الى دانى) : أوه ! هل قلت لى لا ؟

المهندس (الى بيرانجيه) : قالتها لى أنا .

بيرانجيه : آه ! انك تطمئننى !

دانى (الى المهندس) : انى أكره الادارة ، وأستنكر حيكم الجميل ، ما عدت أطيق الحال ، ما عدت أطيق الحال !

المهندس (الى دانى) : انه ليس حيى أنا .

بيرانجيه (الى دانى التى لا تصغى اليه) : أجيبى أيتها الآنسة الحسناء ، يا دانى الجليلة ، يا دانى الرفيعة .. دعينى أخاطبك باسم دانى ..

المهندس (الى دانى) : لست أستطيع ان أمنعك من الاستقالة ، اذهبى اذن ، ولكن الزمى جانب الحذر . هذه نصيحة ودية أقدمها اليك ، نصيحة أبوية .

بيرانجيه (الى المهندس) : هل منحوك وساما ، تقديرا لما حققته من هندسة المدن ؟ كان من الواجب أن يفعلوا ذلك .

دانى (الى المهندس) : اذا أردت ، يمكننى أن أنجز كتابة الرسالة على الآلة الكاتبة قبل أن أمضى .

بيرانجيه (الى المهندس) : لو كنت أنا العمدة ، لمنحتك وساما .

المهندس (الى بيرانجيه) : شكرا . **(الى دانى)** شكرا ، ليس ما يدعو ، سوف أتصرف .

بيرانجيه (وهو يشم زهورا خيالية) : ما أجمل هذا العطر ! أهى زنابق ؟

المهندس : لا ، بنفسج .

دانى (الى المهندس) : لقد عرضت عليك ذلك من قبيل المجاملة .

بيرانجيه (الى المهندس) : هل أستطيع أن أقدم شيئا منها لدانى ؟

المهندس : اذا شئت .

بيرانجيه (الى دانى) : انك لاتعلمين ياصديقتى العزيزة ، يا عزيزتى دانى ، يا خطيبتى العزيزة ، كم كانت وحشتى بدونك !

دانى : اذا كان الأمر هكذا .. **(فى شىء من الاحتداد ، تتناول آلتها الكاتبة ، وتسوى أدواتها بحركات فجائية) .**

بيرانجيه (الى داني) : لو رضيت ، لأقمنا في مسكن فاخر ، تملؤه الشمس .

داني (الى المهندس) : ينبغي على كل حال أن تفهم انني لن أستطيع بعد ذلك مشاطرة المسئولية . فهذا شيء يفوق قواي .

المهندس : الادارة غير مسئولة .

داني (الى المهندس) : كان يجب ان تدركوا . .

المهندس (الى داني) : ليس لك ان تقدمي الى نصائح . هذا شأني . ولكن ، مرة أخرى ، الزمي جانب الحذر !

داني (الى المهندس) : ولا أنا على أن أصغي لنصائحك . هذا شأني أنا أيضا .

المهندس (الى داني) : حسنا ، حسنا ، حسنا !

داني : الى اللقاء ، أيها السيد المهندس .

المهندس (الى داني) : وداعا .

داني (الى بيرانجيه) : الى اللقاء ، يا سيد .

بيرانجيه (جاريا نحو داني ، التي تهم بالخروج من الناحية اليمنى) : داني ، يا آنسة ، لا ترحلي قبل أن تعطيني الجواب . . وخذى هذه الزهرات من النرجس ، على الأقل! **(داني تخرج . وما زال بيرانجيه ، خائر الذراعين ، على مقربة من مكان خروجها .)** آوه . . **(يخاطب المهندس)** أنت يا من تعرف القلب البشرى ، حين لا تجيب امرأة بنعم او لا ، فان هذا يعني « نعم » ، أليس كذلك ؟ **(الى اليمين ، في اتجاه الكواليس)** لسوف تكونين ملهمتي ، لسوف تكونين عروس شعري . لسه فاعما . **(بينما يسمع صوت غير واضح يردد هذين المقطعين الأخيرين ، يخطو بيرانجيه نحو المهندس ويشير في الفضاء)** . لست أعدل عن قراري . سأسكن هنا ، مع داني . سوف أشتري هذا البيت الأبيض

الذى يتوسط الخضرة ، والذى يبدو كأن من أنشأوه قد هجروه ... ليس لدى كثير من المال ، فامنحنى تسهيلات فى الدفع .

المهندس : ان لم تزل حريصا على ذلك ! ان لم تغير قريبا رأيك .

بيرانجيه : انى لحريص على ذلك . ولماذا أغير رأيى ؟ اننى أريد أن أكون ، باذنك ، واحدا من مواطنى المدينة المنيرة . سأنتقل اليها منذ غد ، ولو لم يكن البيت قد تم اعداده .

المهندس (ينظر الى ساعته) : الثانية عشرة وخمس وثلاثون . **(فجأة ، وقع حجر يسقط على بعد خطوتين من بيرانجيه ، بينه وبين المهندس .)**

بيرانجيه : أوه ! **(يتراجع بيرانجيه قليلا)** حجر !

المهندس (بلا دهشة ولا انفعال) : نعم . حجر !

بيرانجيه (ينحنى ، يلتقط الحجر ، ينهض ، ويتامله فى يده) : هذا حجر !

المهندس : ألم تر فى حياتك مثله ؟

بيرانجيه : بلى .. بلى .. كيف ؟ هل يلقون علينا أحجارا ؟

المهندس : حجرا ، حجرا واحدا ، لا أحجارا !

بيرانجيه : انى فاهم ، القوا علينا حجرا .

المهندس : لا تقلق . أنت لن ترجم . هل اصابك الحجر ؟ لا ، أليس كذلك ؟

بيرانجيه : كان يمكنه أن يصيبنى .

المهندس : كلا ، كلا ، وهل يعقل هذا ؟ انه لا يمكنه ان يصيبك . انما هذا لمعاكستك .

بيرانجيه : آه ! حسنا .. اذا كان المقصود هو معاكستى فقط ، فلنقبل الدعابة ! **(يفلت الحجر من يده .)** انا لست

شرس الطبع . وخصوصا فى هذا الاطار ، لا يمكن لشىء أن يعكر على النفس صفوها . هى ستكتب لى ، أليس كذلك ؟ **(يتطلع الى كل ماحوله فى شىء من القلق .)** المكان هنا يشيع راحة كبيرة ، هذا تأثير متعمد . على انه أكثر من اللازم قليلا ، فما قولك ؟ ولماذا لانرى احدا على الاطلاق فى الشوارع ؟ اننا حقا المتنزهان الوحيدان !.. آه ، نعم ، بلا شك ، ذلك لانها ساعة الغداء . والناس جميعا قد جلسوا الى موائدهم . ولكن لماذا لا تسمع ضحكات من يتناولون الطعام ، وصلصلة البلور ؟ لا ضجة ، لا همسة ، ولا صوت انسان يغنى . وجميع النوافذ مغلقة ! **(يلقى نظرة تعجب على خشبة المسرح الخاليـــة .)** فاتنى أن الاحظ ذلك . فى حلم من الاحلام ، هذا شىء يمكن فهمه ، اما فى الواقع ..

المهندس : مع ذلك ، فهـو شىء كان يستـــرعى الانتباه !

(يسمع صوت زجاج يتكسر .)

بيرانجيه : ما الذى يجرى أيضا ؟

المهندس (وهو يتناول من جديد جهاز التليفون من جيبه ، يخاطب بيرانجيه) : شىء بسيط . الا تعرف ما هذا ؟ زجاج نافذة تكسر . لابد أن حجرا قد اخترقه . **(للمرة الثانية ، صوت زجاج ينكسر ، يشتد تراجع بيرانجيه ، ويتكلم المهندس فى التليفون .)** تكسر زجاج نافذتين .

بيرانجيه : ما معنى هذا ؟ دعابة ، أليس كذلك ؟ دعابتان !

(حجر آخر يسقط قبعة بيرانجيه ، فيلتقطها مسرعا ، ويعيد وضعها على رأسه ، وهو يصيح) : ثلاث دعابات !

المهندس (يعيد الجهاز الى جيبه ، مقطبا حاجبيـــه) : اصغ الى يا ســـيدى . نحن لسنا من رجال الاعمال ، اننا موظفون ، اننا اداريون . على اذن أن أقول لك ، رسميا ، اداريا ، أن البيت الذى يبدو مهجورا ، انما هو فى الواقع بيت

قد هجره من انشأوه . لقد اوقفت الشرطة جميع عمليات البناء . كنت على علم بهذا القرار من قبل . ومن جهة اخرى ، تلقيت الآن تليفونيا ما يؤكده .

بيرانجيه : كيف هذا ؟ لماذا ؟

المهندس : اجراء لالزوم له على اى حال ، لان أحدا لم يعد يرغب ــ باستثنائك أنت ــ فى شراء قطع الارض . وأظن أنك على غير علم بالموضوع . .

بيرانجيه : أى موضوع ؟

المهندس : لقد بلغ الامر الى حد أن سكان الحى يودون ان يغادروه . .

بيرانجيه : يغادرون الحى المنير ؟ السكان يريدون أن يغادروا . .

المهندس : نعم . انهم لايجدون لسكناهم مكانا آخر . ولولا ذلك لنزحوا جميعا . لعلهم أيضا يحسبون من الكرامة الا يهربوا . ويفضلون أن يظلوا مختبئين فى دورهم الجميلة . انهم لا يخرجون منها الا فى حالات الضرورة القصوى ، متكتلين جماعات من عشرة أشخاص أو خمسة عشر شخصا . بل وفى تلك الحال ، ليس الخطر مستبعدا . .

بيرانجيه : عن أى خطر تتحدث ؟ هذه دعابة اخرى ، أليس كذلك ؟ . . ما بالك تصطنع كل هذه الصرامة ؟ انك تلقى ظلاما على منظر الطبيعة ! أتريد ان تخوفنى ؟

المهندس (فى وقار) : الموظف لا يمزح .

بيرانجيه (محزونا) : فما هذا الذى تحكيه لى ؟ لقد أصبت قلبى . انما أنت الذى رميتنى الآن بحجر . . معنويا ، بالطبع ، معنويا ! واحسرتاه ! بعد أن أصبحت أحس جذورا تربطنى بهذا المنظر ! انه لا يقدم لى الآن الا ضوءا ميتا ، انه لم يعد بالنسبة لى سوى اطار فارغ . . أحس أننى خارج كل شىء !

المهندس : اني آسف لذلك . لا تترنح ! تماسك !

بيرانجيه : اني ارى في المستقبل اشياء مروعه .

المهندس : اني اسف لذلك، اني اسف لذلك (**اثناء الحوار السابق والتالي ، على التمثيل الا يتجرد من سخريه خفيفه ، لا سيما في اللحظات العاطفيه التي يواريها .**)

بيرانجيه : انني أحس من جديد بالليل الداخلي يجتاحني !

المهندس (بلهجه جاده) : اني اسف ، لذلك ، اني آسف لذلك !

بيرانجيه : أفصح ، اني أتوسل اليك . أنا الذي كنت آمل أن أقضي نهارا طيبا !.. ما كان أسعدني ، منذ بضع لحظات !

المهندس (وهو يشير باصبعه) : أترى هـذا الحوض ؟ (**يعود الحوض الى الظهور ، بصورة واضحة في هذه المره .**)

بيرانجيه : انه الحوض الذي مررنا بجواره الآن !

المهندس : كنت أريد أن أريك .. غير أنك فضلت الزعرور .. (**يشير الى الحوض مرة أخرى .**) ههنا ، في داخل هذا الحوض ، يوجد كل يوم عدد منهم ، اثنان أو ثلاثة ، غرقى !

بيرانجيه : غرقى ؟

المهندس : تعال وانظر بنفسك ، أن كنت لا تصـدقني . اقترب ، اقترب !

بيرانجيه (متجها مع المهندس نحو الموضع المشار اليه أو متقدما نحو الجمهور ، بينما تظهر الاشياء التي تذكر في الحوار كلما ورد ذكرها .) : فلنقترب !

المهندس : انظر . ماذا ترى ؟

بيرانجيه : يا أيتها السـماء !

المهندس : لا تستسلم للاغماء ، تماسك ، انك رجل !

بيرانجيه (بعناء) : ألمح .. هل هـذا ممكن ؟ .. اجل ، المح على سطح الماء ، جثة صبي صغير وسط عجلته .. غلام

صغير فى سن الخامسة أو السادسة .. انه يمسك بعصا صغيرة فى يده المتشنجة .. والى جانبه جثة ، منتفخة جدا، لضابط من سلاح المهندسين ، فى كامل زيه ..

المهندس : بل توجد اليوم ثلاث جثث (**يشير باصبعه .**) هناك !

بيرانجيه : تلك أعشاب مائية !

المهندس : دقق النظر .

بيرانجيه : يا الهى !.. نعم .. انى أرى ! انه شعر احمر يطفو من القاع ، شعر معلق على الرخام المحيط بالحوض . يا للفظاعة ! انها امرأة ، بلا شك .

المهندس (يهز كتفيه) : طبعا . والآخر ، رجل . والآخر، طفل . لا نعرف عنهم أكثر من ذلك ، نحن ايضا .

بيرانجيه : ربما كانت أم الصبى ! مساكين ! لماذا لم تقل لى ذلك من قبل ؟

المهندس : فانى أقول لك انك طول الوقت قد منعتنى . وانك طول الوقت كنت مجذوبا بجمال المنظر !

بيرانجيه : مساكين !.(**بعنف**) من فعل هذا ؟

المهندس : المجرم ، السفاح .. نفس الشخص دائما . ولا سبيل الى اعتقاله !

بيرانجيه : انما حياتنا مهددة ! فلنمض ! (**يفر ، يجرى بضعة امتار على خشبة المسرح ، ثم يعود نحو المهندس الذى لا يتحرك .**) فلنمض ! (**يفر بيرانجيه . لا يفعل سوى أن يدور حول المهندس الذى يخرج سيجارة ويشعلها ، يسمع طلق نارى .**) أطلق الرصاص !

المهندس : لا ترع ! فى صحبتى ، لن تتعرض لمكروه .

بيرانجيه : وهذا الطلق النارى ؟ أوه ، لا .. لا .. انا غير مطمئن ! (**بيرانجيه يضطرب ويرتعد**)

المهندس : هذا للمزاح .. نعم .. الآن ، هـذا للمزاح ، لمعاكستك ! انني مهندس المدينة ، موظف من هيئة البلدية ، وهو لا يتصدى للادارة . عندما أحال الى المعاش ، سيتغير الوضع ، ولكن ، فى الوقت الحاضر ..

بيرانجيه : فلنمض . فلنبتعد . انني عجل الى مغادرة حيك الجميل ..

المهندس : انظر ! ها انت ترى أنك غيرت رأيك !

بيرانجيه : لا يجب أن تغضب منى !

المهندس : سيان عنـدى . أنا لم يطلب منى أن أعبىء متطوعين اجباريا ، وأن أكرههم على حرية السكن فى هـذا المكان . ليس احد ملزما بأن يعيش فى خطر ، اذا كان لايحب ذلك !.. سوف نهدم الحى بعد أن يهجره أهله .

بيرانجيه (وما زال يسرع ، وهو يدور حول المهندس) : سيهجره أهله ؟

المهندس : سوف ينتهى الامر بالناس الى ان ينزحوا عنه .. أو سيكونون فى ذلك الحين قد قتلوا جميعـا . أوه ، سوف يستغرق هذا بعض الوقت ..

بيرانجيه : فلنرحل ، فلنرحل بسرعـة **(يدور دورته المتصـلة ، فى سرعة تتزايد باطراد ، حانى الرأس .)** ليس الاغنيـاء دائما سعداء ، لا هم ، ولا سكان الاحياء الراقية .. ولا المنيرة ! .. لا وجود للاهالى المنيرة !.. بل أن حالهم شر من حال الآخرين ، من حالنا ، نحن النمل !.. آه ، يا سيدى المهندس ، ما أشد كربى ! أحس انني مقروح ، منهك !.. لقد عاودنى تعبى .. ان الوجود باطل ! ما جدوى كل شىء ، ما جدوى كل شيء ان لم يكن الا ليبلغ بنا هذا المصير ؟ امنع هذا ، امنع هذا أيها السيد المأمور .

المهندس : كلام سهل أن يقال .

بيرانجيه : بلا شك ، هل انت أيضا مأمور الحى ؟

المهندس : فعلا ، انى أقوم أيضا بهذه الوظيفة . كأى مهندس متخصص .

بيرانجيه : اظن انك تأمل أن تقبض عليه ، قبل احالتك الى المعاش ؟

المهندس (متضايقا فى برود) : انك لتقدر اننا نبذل كل ما نستطيع !.. انتبه ، ليس الطريق من هنا ، سوف تضل سبيلك ، انك تدور طول الوقت فى نفس الدائرة ، وتعود طول الوقت أدراجك !

بيرانجيه (يشير باصبعه ، الى موضع قريب منه جدا .) : آى ! اما زال هذا هو نفس الحوض ؟

المهندس : انه يكتفى بواحد .

بيرانجيه : أهؤلاء هم نفس الغرقى الذين رأيناهم ؟

المهندس : ثلاثة فى اليوم ، ذلك متوسط لا بأس به ، دعنا من المبالغة !

بيرانجيه : ارشدنى الى الطريق !.. فلنخرج !..

المهندس (يمسك بذراعه ويرشده .) : من هنا !

بيرانجيه : بعد أن بدىء اليوم هذه البداية السعيدة ! سوف ارى دائما هؤلاء الغرقى ، لن تفارق الصورة ذاكرتى !

المهندس : يالك من طبع شديد الانفعال !

بيرانجيه : فليكن ، خير أن نعرف كل شىء ! **(تغيير فى الاضاءة . نورقاتم ، وجلبة خفيفة مصدرها الشارع والترام .)**

المهندس : انتهينا . لم نعد الآن فى المدينة المنيرة ، لقد اجتزنا السور . **(يدع ذراع بيرانجيه)** اننا فى الشارع المحطة .

بيرانجيه : أين هذا ؟

العمومى الخارجى . اترى ، هناك ؟ ذاك ترامك . هذه هى

المهندس : هناك ، حيث يوجد أولئك الناس الذين ينتظرون . انه آخر الخط . والترام يستأنف سيره فى الاتجاه العكسى ، وينقلك رأسا الى طرف المدينـــة الآخـــر ، حيث تســكن ! **(يستطيع الناظر أن يلمح ، على امتداد البصر ، بعض الشوارع تحت سماء تنذر بالمطر ، وأطيافا ، وانوارا حمراء غير محددة . على مصمم المناظر أن يسعى الى أن يتحول كل شىء ، بتدرج يسير ، الى مزيد من الواقعية . وينبغى أن يحدث التغير عن طريق الاضاءة ، وقليل جدا من عناصر المناظر ، هى لافتات واعلانات ضوئية — احداها لافتة حانة ، الى اليســــار — يجب أن تظهر تدريجيا ، واحدة بعـد الأخرى ، ولا يزيد مجموعها على ثلاث أو أربع) .**

بيرانجيه : أنا مثلوج .

المهندس : فعلا ، انك تنتفض !

بيرانجيه : انه الانفعال .

المهندس : والبرد أيضا . **(يمد يده ليحس قطرات المطر .)** السماء تمطر . ماء يخالطه جليد . **(بيرانجيه يكاد ينزلق)** انتبه لئلا تنزلق » فالرصيف مبتل . **([illegible])**

بيرانجيه : شكرا .

المهندس : البس معطفك . ستصاب بالزكام .

بيرانجيه : شكرا . **(يرتدى معطفه ، ويعقد ملفعته حول عنقه فى لهفة المحموم)** . بررررر .. وداعا يا سيدى المأمور .

المهندس : انك لست عائدا فى الحال الى بيتك ! ليس احد فى انتظارك . لديك من الوقت ما يكفى لتناول شراب ينعشك . هيا ، لا ترفض ، هذا هو الموعد الذى أتناول فيه فاتح الشهية . توجد حانة ، هناك ، بالقرب من المحطة ، على بعـــد خطوتين من الجبانة ، وفيهـــا تباع أيضا أكاليل الأزهار .

بيرانجيه : يبدو لى أنك استعدت صفوك . اما أنا ، فلا .

المهندس : أنا لم أفقده أبدا .

بيرانجيه : رغم ..

المهندس (مقاطعا ، بينما تظهر لافتة الحانة) : ينبغى أن ننظر الى الحياة مواجهة « كن واقعيا ! (**يضع يده على مقبض باب خيالى ، تحت لافتة الحانة**) فلندخل داخل الدكان .

بيرانجيه : لا أكاد أشعر برغبة ..

المهندس : هيا ، تفضل .

بيرانجيه : بعدك ، يا سيدى المأمور .

المهندس : تفضل ، تفضل . (**يدفعه . صوت باب الحانة . يدخلان الحانة : ويمكن أن تكون ذلك الركن من خشبة المسرح الذى كان به ، منذ وقت قصير ، بيت النبات الزجاجى الخيالى ، ثم مكتب المهندس الخيالى . يمضيان للجلوس على كرسيين ، امام المنضدة الصغيرة . وتكون جلستهما ، بلا شك ، الى جانب نافذة الدكان الكبيرة . واذا كانت قد أزيلت المنضدة والكرسيان — التى سبق ظهورها — يستطيع صاحب الحانة عندما يظهر أن يحضر مائدة خفيفة من ذوات المفاصل القابلة للثنى ، كما يستطيع بيرانجيه والمهندس أن يتناولا كرسيين من نفس النوع على الارض وينصباهما .**)

اجلس « اجلس (**يجلسان**) يا لسحنتك ! هون عليك ، لا تكن واجما هكذا ! لو فكر الناس فى جميع بلايا الانسانية ، لما عاش أحد . وينبغى أن نعيش ! فى كل وقت هناك أطفال تذبح ، وشيوخ تجوع ، وأرامل ثكلى ، ويتامى ، ومرضى يحتضرون ، وأخطاء قضائية ، وبيوت تنهار على سكانها ، وجبال تسقط .. ومذابح ، وطوفانات ، وكلاب تداس .. بهذه الطريقة يستطيع الصحافيون أن يرتزقوا . فى كل شيء جانب خير . وجانب الخير هو الذى ينبغى أن تذكره فى آخر الامر .

بيرانجيه : نعم ، يا سيدى المأمور ، نعم .. ولكن بعد أن رأيت هذا عن كثب ، ورأيته بعيني رأسى ، لا يمكننى أن أظل غير مكترث . أما أنت ، فلعلك قد تعودت ذلك ، فى مهنتك المزدوجة .

المهندس : (وهو يربت على كتف بيرانجيه بضربة قويه) : انك شديد التأثر جدا ، وسبق أن قلت لك ذلك . عود نفسك على الأمور . هيا ، هيا ، شيئا من الحزم ، شيئا من الارادة **(يربت على كتفه بضربة أخرى قوية . يكاد بيرانجيه يهوى على الأرض بكرسيه .)** يبـدو عليك أنك صحيح البنية ، مهما قلت عن نفسك ، ورغم وجهك الكاسف . انك صحيح العقل والجسم !

بيرانجيه : أنا لا أقول العكس . ان الأدواء التى أعانيهـا ليست ظاهرة ، انها نظرية ، روحية .

المهندس : أفهم هذا .

بيرانجيه : انك تتهكم .

المهندس : حاشا أن أسمح لنفسى بذلك . لقد مرت على حالات كثيرة مثل حالتك ، بين عملائى .

بيرانجيه : آه أجل ، فانك طبيب أيضا .

المهندس : فى سـاعات فراغى . أنا أمارس ما تيسر من الطب العام ، ولقد قمت يوما بعمل محلل نفسانى ، وكنت مساعد جراح ، وفى شبابى درست أيضا علم الاجتماع .. لا عليك ، سنحاول أن نجـد لك ما يعزيك . **(مصـفقا)** يا صاحب المحل !

بيرانجيه : اننى لست مثلك انسانا كامل الجوانب . **(يسمع صادرا من الكواليس اليسرى ، صوت متشرد)**

صوت المتشرد (يغني) : بعد ما تركت البـ .. ح .. رية
تزوجت .. ما .. رية !

صوت صاحب الحانة (صوت غليظ) : حالا ، يا سيدى المأمور . **(يغير لهجته ، مخاطبا المتشرد ومازال فى الكواليس)** انصرف من هنا ، رح اسكر فى مكان آخر !

صوت المتشرد (صوت مطموس) : لا لزوم للتعب ، فأنا سكران فعلا ! **(يظهر المتشرد من الناحية اليسرى ، ثملا . يدفعه بعنف صاحب المحل ، وهو شخص بدين أسمر ، ذو ذراعين غليظتين يكسوهما الشعر .)**

المتشرد : أنا سكرت عندك ، ودفعت ، كان عليك الا تقدم لى الشراب !

صاحب الحانة : أنزح من هنا ! أتسمعنى ؟ **(الى المهندس)** تعظيماتى ، يا سيدى المأمور !

المهندس (الى بيرانجيه) : أترى .. ماعدنا الآن فى الحى الأنيق ، أخلاق الناس أصبحت أعنف .

المتشرد (ومازال صاحب الحانة يدفعه) : مالك ومالى ؟

بيرانجيه (الى المهندس) : انى الاحظ ذلك .

صاحب الحانة (الى المتشرد) : هيا .. أترى ، السـيد المأمور ، انه هنا !

المتشرد : أنا لا أسيء لأحـد ! **(يواصل صاحب الحـانة دفعه ، فيتعثر ، ويسقط بطوله ، وينهض دون أن يحتج .)**

المهندس (الى صاحب الحانة) : كأسين من نبيذ البوجوليه .

صاحب الحانة : سمعا . لجنابك ، عندى من الأصلى . **(الى المتشرد الذى ينهض)** أخرج ، واقفل الباب وراءك ، ولا ترنى وجهك مرة أخرى ! **(يخرج من الناحية اليسرى .)**

المهندس (الى بيرانجيه) : مازلت هامدا ؟

بيرانجيه (يأتى حركة فى شرود ، وهـو كاسف البال) :

وماذا أستطيع ؟ **(يظهر صاحب الحانة ، ومعه كأسا النبيذ ، بينما يمثل المتشرد حركة من يوصد الباب ، ويغادر المحل .)**

صاحب الحانة : ها هما كأساك من البوجوليه ، ياسيدى المأمور !

المتشرد (يخرج من المسرح ، من الناحية اليمنى ، وهو يترنح فى مشيته ، ويدندن) : بعد ما تركت البـ . حـ بة ، تزوجت . . ما . . ريه !

صاحب الحانة (الى المهندس) : هل تريد شيئا يؤكل ، ياسيدى المأمور ؟

المهندس : أعطنا شطيرتين .

صاحب الحانة : عندى صنف عظيم من «معجون الأرانب» ، انه مصنوع من لحم الخنزير الخالص ! **(يتظاهر بيرانجيه بانه يريد أن يدفع .)**

المهندس (واضعا يده على ذراع بيرانجيه ليمنعه من ذلك) : دع ، دع ، الدفع على هـــذه المرة ! **(الى صاحب الحانة)** على هذه المرة !

صاحب الحانة : حسنا ، ياسيدى المأمور ! **(يخرج من الناحية اليسرى . يبتلع المهندس جرعة من النبيذ . أما بيرانجيه فلن يمس كأسه .)**

بيرانجيه (بعد صمت قصير) : على الاقل ، لوكانت عندك أوصافه !

المهندس : أما أوصافه فعندنا . على الأقل ، تلك الأوصاف التى يعمل عمله تحت ستارها ! ان صورته ملصقة على كل الجدران . لقد بذلنا كل ما فى وسعنا .

بيرانجيه : وكيف حصلتم على صورته ؟

المهندس : وجدناها فى جيوب بعض الغرقى . بل واستطاع بعض ضـــحاياه ، ممن أفاقوا لحظة ، أن يقدموا لنا تفاصيل

اضافية . ونحن نعرف أيضا كيف يحتال على الناس . وجميع أهل الحى ، على أى حال ، يعرفون ذلك .

بيرانجيه : فلماذا ، والأمر كذلك ، لا يشتد حذرهم ؟ ليس عليهم الا أن يتجنبوه .

المهندس : المسألة ليست بهذه البساطة . أؤكد لك أن هناك من لازالوا يقعون فى حبائله ، اثنين أو ثلاثة فى كل مساء .

بيرانجيه : أنا لا أستطيع أن أفهم هذا ! (**يبتلع المهندس جرعة جديدة من النبيذ . يحضر صاحب الحانة الشطيرتين ويخرج**) اننى مذهول .. والقصة ، فيما يبدو ، أقرب الى اثارة متعتك يا سيدى المأمور .

المهندس : وماذا تريد ؟ انها قصة لاتخلو من طرافة ! تفضل ، هاهو ذا المكان .. انظر من النافذة . (**يتظاهر بازاحة ستارة خيالية ، أو لعل من الممكن تزويد المنظر بستارة مسدلة . يشير المهندس بأصبعه نحو اليسار .**) .. أترى .. انه هناك ، على محطة الترام ، يفعل فعلته . عندما ينزل الركاب ، راجعين الى بيوتهم – اذ أن العربات الخاصة لاتسير الا داخل المدينة المنيرة – يذهب نحوهم ، متنكرا فى صورة متسول . وينتحب ، كما يفعل جميع المتسولين ، ويطلب الاحسان عليه ، ويحاول أن يستدر عطفهم . يلقى الكلام المعتاد . انه خارج من المستشفى ، ولم يجد عملا ، ويبحث عن عمل ، وليس لديه مأوى يقضى فيه الليل . وليس هذا ما يصيب ، وانما هذا مجرد تمهيد للدخول فى الموضوع . انه يشتم ، وينتقى النفس الرحيمة ، ويفتح باب الحديث معها ، ويتعلق ، ولايفارقها خطوة واحدة . يعرض أن يبيعها شيئا من سقط المتاع يخرجه من سلته ، أزهارا صناعية ، مقصات ، طاقيات من طراز قديم ، بطاقات .. بطاقات مصورة من بطاقات البريد .. سجاير أمريكية .. رسوما

صغيرة مخلة بالحياء ، أى شيء كان . وبوجه عام ، ترفض خدماته ، وتسرع النفس الطيبة ، فهى ضيقة الوقت . وفيما هو يساوم ، يصل معها قرب الحوض الذى تعرفه . هناك ، فى الحال ، يستعمل الطريقة الكبرى : يعرض عليها أن يطلعها على صورة الكولونيل . وتلك عملية لا تخيب . فبما أن نور النهار فى تلك الساعة ضعيف ، تنحنى النفس الطيبة لكى نرى بوضوح . وفى هذه اللحظة ، تهالك . فهو ينتهز فرصة

. . . .

وتغرق . لقد تم له الأمر ، وما عليه بعد ذلك الا أن يتحرى عن ضحية جديدة .

بيرانجيه : العجيب ، هو أن الناس يعرفون ذلك ، ولكنهم يستسلمون للمفاجأة .

المهندس : انه فخ ، ما الحيلة ؟ وهو لم يضبط أبدا متلبسا .

بيرانجيه : شيء لا يصدقه العقل !

المهندس : ومع ذلك شيء صحيح ! (**يقضم شطيرته**) الا تشرب ؟ الا تأكل ؟ (**ضجيج الترام الذى يصل الى المحطة . واذا بيرانجيه يشرب متحمسا ، ويهم بازاحة الستارة لكى ينظر من النافذة ، فى اتجاه محطة الترام .**) انه الترام قد وصل .

بيرانجيه : وجماعات من الناس تنزل منه !

المهندس : أى نعم . انهم سكان الحى . راجعين لبيوتهم .

بيرانجيه : لست أرى بينهم أى متسول .

المهندس : أنت لن تراه فهو لن يظهر . انه يعلم اننا هنا .

بيرانجيه .(**وقد أدار ظهره للنافذة ، وعاد ليجلس من جديد ناحية المهندس ، الذى أدار ظهره بالمثل الى النافذة .**): لعل من الخير أن تأمر بأن يرابط ، فى هذا المكان ، ضابط يرتدى الملابس المدنية ، بصفة دائمة .

المهندس : أتريد ان تعلمني مهنتي ؟ فنيا ، هذا غيرممكن . فضباطنا مرهقون ولديهم أعباء اخرى . على أي حال . هم أيضا يتوقون لرؤية صورة الكولونيل . لقد أعرف منهم حتى الآن خمسه وبهده الطريقة . آه .. لو كانت لدينا الادله ، لعرفنا أين نجده ! **(فجاه ، تنطلق صرخه ، كما يسمع صوت أصم لجسم يسقط فى الماء)** .

بيرانجيه (ينهض واثبا) : هل سمعت ؟

المهندس (جالسا ، يقضم خبزه) : لقد فعل فعلته مرة أخرى . ها أنت ترى الى أى حد يسهل منعه ! انك لا نكاد تدير ظهرك ، ثانية واحدة من الغفلة ، واذا الأمر قد وقع .. ثانية واحدة ، أنه لا يحتاج الى أكثر من ثانية .

بيرانجيه : هذا فظيع ، هذا فظيع ! **(تسمع جلبة ، وأصوات نائرة صادرة عن الكواليس ، وقع أقدام ، وضجيج سيارة مسرعة من سيارات الشرطة تقف وقوفا مباغتا .)**

بيرانجيه (وهو يلوى يديه) : افعل شيئا ما ، شيئا ما .. تدخل ، تصرف !

المهندس (هادئا ، ولا يزال جالسا ، وقد امسك الشطيرة فى يده ، بعد أن احتسى جرعة من النبيذ) : فات الاوان .. لقد غلبنا هذه المرة أيضا بعنصر المفاجأة ..

بيرانجيه : ربما لم يكن هذا سوى حجر كبير ألقاه فى الماء .. بقصد معاكستنا !

المهندس : هذا شيء يدهشنى . والصرخة ؟ **(يدخل صاحب الحانة ، من الناحية اليسرى .)** سوف نعرف الآن كل شيء . هاهو ذا مخبرنا !

صاحب الحانة : انها الفتاة ، الشقراء ..

بيرانجيه : « دانى » ؟ الآنسة دانى ؟ هذا غير معقول !

المهندس : بلى . ولم لا ؟ انها سكرتيرتى ، سكرتيرتى

سابقا . ومع ذلك فقد الححت فى نصحها بألا تترك خدمتى . لقد كانت فى مأمن .

بيرانجيه : يا الهى ، يا الهى ، يا الهى !

المهندس : كانت فى الادارة ! ولا يتصدى أحد للادارة ! انما لا ، أرادت أن تنال «حريتها» ! فلتتعلم : لقد نالتها الآن ، حريتها . كنت أتوقع هذا ..

بيرانجيه : يا الهى ، يا الهى ! المسكينة .. لم يمهلها حتى تقول لى « نعم » ! ..

المهندس (مواصلا عبارته) : بل كنت متأكدا من أن هذا لا بد واقع لها ! والا فقد كان عليها ألا تطرق الحى ، منذ تفارق الادارة ..

بيرانجيه : الآنسة دانى !! الآنسة دانى !! الآنسة دانى !! **(نغمة الانتحاب)** .

المهندس (مواصلا حديثه) : آه من جنون الناس عندما يركبون رؤوسهم ، وخصوصا ، خصوصا جنون الضحايا الذين يعودون دائما الى مكان الجريمة ! فبهذه الطريقة يقعون فى الفخ !

بيرانجيه (يكاد ينهنه) : أووه ! ياسيدى المأمور ، سيدى المأمور ، انها الآنسة دانى ، الآنسة دانى ! **(يهوى على كرسيه ، منهارا .)**

المهندس (الى صاحب الحانة) : فليفتح المحضر ، شكليا . **(يتناول من جيبه جهاز التليفون .)** الو ؟ ... الو ؟ ... جناية أخرى .. انها امرأة شابة .. دانى .. التى كانت تعمل عندنا .. لا يوجد تلبس .. افتراضات .. هى نفس الافتراضات .. نعم ! **(يضع الجهاز على المنضدة لان :)**

بيرانجيه (ينهض فجأة) : لا يمكن ، لا يجوز أن يترك الأمر هكذا ! لا يمكن أن يستقيم الحال بعد ذلك ! لا يمكن

أن يستقيم الحال بعد ذلك !

المهندس : هدىء نفسك . أن الموت مصيرنا جميعا . لاتعقد مجرى التحريات !

بيرانجيه (يخرج مهرولا ، ويصفق باب الحانة الخيالى ، الذى يسمع صوته مع ذلك .) : لن يستقيم الامر هكذا ! لابد من عمل شىء ما ! لابد ، لابد ، لابد ! **(يخرج من المسرح من الناحية اليمنى .)**

صاحب الحانة : السلام عليكم ، يا سيد ! **(الى المهندس :)** كان يستطيع أن يقول « وعليكم السلام » .

المهندس (جالسا ، يتبعه بنظره ، كما يفعل صاحب الحانة الواقف ، وقد كتف ذراعيه أو وضعهما حول خصره . ثم بعد أن يخرج بيرانجيه ، يشرب المهندس فى جرعة واحدة باقى نبيذه ، ويقول لصاحب الحانة وهو يشير الى كأس بيرانجيه المملوءة :) اشربها ! وخذ الشطيرة أيضا ! **(يجلس صاحب الحانة فى مكان بيرانجيه .)**

المهندس (فى التليفون) : ألو ! لا توجد أدلة ! احفظ المحضر ! **(يعيد الجهاز الى جيبه .)**

صاحب الحانة (وهو يشرب) : فى صحتك ! **(ويقضم الشطيرة .)**

ستار .

الفصل الثانى

المنظر

غرفة بيرانجيه . حجرة معتمة واطئة السقف ، بها ، مقابل النافذة ، مركز اكثر نورا . وبالقرب من هذه النافذة العريضة الواطئة ، يوجد صوان . والى يمين الصوان ، ركن مظلم . فى هذا الركن المظلم جدا ، كرسى كبير من طراز « عصر الوصاية » ، فى حالة غير جيدة ، وقد جلس عليه ، عند رفع الستار ، « ادوار » ، صامتا . فى بداية الفصل ،

لا يرى الناظر هذا الشخص ، ولا الكرسي الكبير ، بسبب الظلام الذي يسود غرفه « بيرانجيه » الواقعة في الطابق السفلى . وفي الوسط ، في الجزء المضيء الى حد ما ، امام النافذة ، منضدة كبيرة ، عليها دفاتر ، وأوراق ، وكتاب ، ومحبرة ، وريشة طريفة للكتابة ، تحاكي ريشة اوزة .

كرسي كبير احمر ، بال ، ينقصه أحد مسنديه ، موضوع على بعد متر من المنضدة ، الى اليسار . أركان أخرى مظلمة في الجدار الأيسر .

في باقي الغرفة ، في الظل ، يلمح الناظر الأشكال الخارجية لبعض الاثاث القديم : مكتب « سكرتير » عتيق ، و « كومود » يوجد فوقها ، معلقة على الجدار ، سجادة زينة بالية . وهناك أيضا كرسي أو مقعد آخر أحمر كبير . بالقرب من النافذة ، الى اليمين ، منضدة صغيرة وكرسي بلا أى مسند ، ورف مزدوج عليه بعض الكتب . وفوق اللوح العلوى جهاز « جراموفون » عتيق .

في مقدمة المسرح ، نحو اليسار ، الباب المؤدى الى « بسطة » السلم . تتدلى من السقف ثريا قديمة ، وعلى الارض سجادة كالحة . وعلى الجدار الأيمن ، مرآة ذات اطار مسرف في الزخرف ، لا تكاد تلمع الا في بداية الفصل ؛ الى حد أن يستعصى على الناظر أن يعرف بعد ، في بداية هذا الفصل ، ما هو ذلك الشيء . وفي أسفل المرآة مدفأة قديمة .

من خلال النافذة ، وقد انفرجت ستائرها ، نرى الشارع ؛ ونوافذ الطابق الأسفل المقابل ، وجزءا من واجهة محل بقالة .

أن « ديكور » الفصل الثاني ثقيل ، دميم ، يناقض بصورة قوية ما كان في الفصل الأول من انعدام « الديكور » او

اقتصاره على الاضواء .

عند رفع الستارة ، تضيء النافذة بنور شاحب مصفر ، مركز على المسرح والمائدة التي تتوسطه. جدران البيت المقابل لونها رمادي قذر . وفي الخارج الجو معتم ، ويسقط الجليد ورذاذ من المطر .

أما « ادوار » ، وقد جلس على الكرسي الكبير ، في أشد اركان حجرة بيرانجيه ظلاما ، الى يمين النافذة ، فلا يراه ولا يسمعه أحد في بداية الفصل . سوف نراه فيما بعد ، عقب وصول بيرانجيه ، نحيلا ، شديد الشحوب ، كأنه محموم ، وقد أكتسى بالسواد ، فعلى ذراعه اليمنى شريط الحداد ، وعلى رأسه قبعة سوداء من اللباد ، وهو يلبس معطفا أسود ، وحذاء أسود ، وقميصا أبيض ذا ياقةمنشاة ، ورباط عنق أسود . من حين لآخر ، ولكن بعد وصول بيرانجيه على كل حال ، يسعل « ادوار » سعالا حادا أو خفيفا ، ويبصق اذ ذاك في منديل أبيض يخبط به السواد ، ثم يضعه برقة في جيبه . وقبيل رفع الستارة ، ثم عند رفعها ، نسمع — صادرا عن الجهة اليسرى — أي عند سلم الدار ، صوت البوابة .

صوت البوابة (تغنى) :

اذا جاء البرد ، ذهب الحر ،
واذا جاء الحر ، فلأن الدنيا برد !

يا سلام ! مهما كنسنا ، فالمكان قذر طول النهار من تراب فحمهم ومن جليدهم ! **(طرقة المكنسة التي تصطدم بالباب ، ثم من جديد نسمع صوت البوابة تغنى :)**

اذا جاء البرد ، ذهب الحر ،
اذا جاء الحر ، فلأن الدنيابرد!
اذا جاء البرد ، هل الدنيا حر؟

اذا جاء الحر ، فهل الدنيابرد؟
فما الجو عندما يجيء البرد ؟

(مع غناء البوابة ، نسمع في الوقت نفسه ضربات مطرقة صادرة عن الطابق العلوى ، وجهاز راديو مفتوحا ، وضجيج سيارات نقل و ((موتوسيكلات)) تقترب تارة وتبتعد تارة أخرى . وفى لحظة معينة ، تنطلق بالمثل أصوات منبعثة من فناء مدرسة أثناء فترة ((الفسحة)) . كل ذلك فى شىء من التشويه والمبالغة ، فصيحات التلاميذ ينبغى أن تشبه العواء : انما المقصود تقبيح الصخب بأسلوب يجعله ممجوجا ومضحكا فى آن واحد .)

صوت رجل (يسبقه وقع خطوات على السلم ، ونباح كلب) : صباح الخير ، يا سيدتى البوابة .

صوت البوابة : صباح الخير يا سيد « ليلار » ! انك تخرج اليوم فى الضحى !

صوت رجل : كان عندى بعض العمل فى البيت . ونمت . والآن أشعر بتحسن . انى ذاهب لارسال خطاباتى بالبريد .

صوت البوابة : يا لها من مهنة عجيبة ! دائما فى أوراقك ! لابد أنك تفكر طول الوقت ، لكى تكتب خطاباتك .

صوت رجل : ليس لكتابتها يلزمنى أن أفكر ، بل لارسالها .

صوت البوابة : يا سيدة ! انما ينبغى أن تعرف لمن ترسلها ! أنت لا تستطيع ارسالها لأى شخص ! ولا يجب كذلك أن يكونوا نفس الأشخاص !

صوت رجل : لابد أن يكسب الانسان عيشه بعرق جبينه ، كما قال النبى .

صوت البوابة : اليوم انتشر التعليم انتشارا زائدا ، ولهذا السبب فسدت الأحوال . حتى الكنس ، أصبح أصعب مما كان .

صوت رجل : لابد أن يكسب الانسان عيشه مع ذلك . لكى يدفع الضرائب .

صوت البوابه : أحسن مهنة هى أن يكون الانسان وزيرا . هؤلاء لا يدفعون الضرائب ، بل يقبضونها .

صوت رجل : انهم ايضا مساكين ، عليهم أن يكسبوا عيشهم ، كغيرهم من الناس .

صوت البوابه : حقا ، فالاغنياء ، ربما كانوا فى مثل حالنا من الفقر ، لو أن هناك أغنياء فى أيامنا هذه .

صوت رجل : يا سيدة ! انما هذه هى الحياة !

صوت البوابة : يا سيدة ! نعم ، للاسف !

صوت رجل : يا سيدة ! نعم ، يا سيدتى .

صوت البوابة : يا سيدة ! نعم ، يا سيدى . نحن نتعب تعب الكلاب لكى نصل جميعا لنفس المكان ، للحفرة . فهناك زوجى ، لقد مات منذ أربعين سنة ، وقع هذا بالامس . **(نباح الكلب فى مدخل البيت)** . انسد ، يا « كنز » . **(لابد انها صربت كلبها بالمكنسة ، لاننا نسمع نباحه وانينه . باب يصفق)** . ادخل بيتك . **(الى السيدة ، بلا تنمك :)** هيا ، الى اللقاء يا سيد « ليلار » .. انتبه لئلا تنزلق ، ففى الخارج الأرصفة مبللة جدا . يا له من جو كلب !

صوت رجل : بالضبط . كنا نتكلم عن الحياة .. على الانسان أن يكون فيلسوفا ، يا سيدتى البوابة ، ماذا تريدين !

صوت البوابة : لا تذكر لى هؤلاء الفلاسفة ، لقد وضعت فى رأسى فكرة اتباع نصائح الرواقيين ، ورحت فى التأمل . ولكنهم لم يعلمونى شيئا ، حتى ولا « مارك — أوريل » . هذا شىء لاينفع ، نهائيا . ما كان أذكى منك ولا منى . انما على كل انسان أن يجد الحل الذى يناسبه . لو كان هناك

حل ، ولكن لايوجد حل .

صوت رجل : يا سيدة !

صوت البوابه : والا تكون له عواطف . واين يضعها تلك العواطف ؟ انهـا شيء لا يدخل في معاييس فيمنا . ماذا عساني افعل بها ، انا ، في عمليه دنس ابسلم ؟

صوت رجل : أنا لم اقراهم . أولئك الفلاسفة .

صوت البوابه : بحق السيدة ، انك على حق . هكذا يكون الشخص المتعلم ، مثلك . انما الفلسفه لا نصلح الا لأنابيب الاختبار . بقصد أن تعطيها الوانا ، بل ولا لهذا .

صوت رجل : لا يجوز أن تقول هذا الكلام .

صوت البوابة : ان الفلاسفه لا يصلحون الا لنا ، نحن البوابين .

صوت رجل : لا يجوز أن تقول هذا ، يا سيدتي ، انهم يصلحون لكل الناس .

صوت البوابة : انا أعرف ماذا أقول . انك لاتقرأ الا الكتب الجيده . اما انا ، فأقرأ الفلاسفة ، لأني لا أملك نقودا .. فلاسفة بقروش زهيدة . واذا اعوزتك أنت النقود ، فانك على الأقل تستطيع دخول المكتبات العامة . ويمكنك الاختيار .. وما فائدة ذلك ؟ أجبني ، أنت يا من تعرف كل شيء .

صوت رجل : الأمر كما أقول لك ، أن الفلسفة تفيد في معرفة فلسفة الحياة !

صوت البوابة : لقد تعودت عليها ، فلسفة الحياة !

صوت رجل : هذه فضيلة ، يا سيدتي البوابة ! **(تطرق المكنسة أسفل باب غرفة بيرانجيه) .**

صوت البوابة : آه يا له من بيت متسخ ! انه الوحل !

صوت رجل : ليس هذا ما ينقصنا . هيا ، اني ذاهب .

هذه المرة ، فالأمر عاجل . الى اللقاء ، يا سيدتى البوابة ، وتشجعى !

صوت البوابة : شكرا يا سيد « ليلار » ! (**صوت الباب الخارجى يصفق بعنف**) . آه ، فهو ذكى ، هذا المغفل : سيكسر الباب ايضا ، لست أنا التى سأدفع ثمنه !

صوت رجل (**بأدب**) : هل قلت شيئا ، يا سيدتى البوابه ؟

صوت البوابة (**بأدب أكبر ، وتودد**) : لا شىء أبدا ، يا سيد ليلار ، كنت أتحدث هكذا ، وحدى ، لكى أتعلم الكلام . على سبيل التسلية ! (**تطرق الكنسة أسفل باب غرفة ادوار .**)

صوت رجل : يخيل الى أنك ناديتنى . عفوا .

صوت البوابة : يا سيدة ! الناس قد تخطىء يا سيد . هذا يحدث أحيانا ! لا بأس ! (**من جديد صوت الباب الخارجى يصفق بعنف**) . لقد انكشح ! آه من هذا الرجل ، مهما قلت له مائة ألف مرة نفس الشىء ، لا يفهم ، بطريقته فى رد الأبواب . كأنما هو أصم ! انه يتظاهر بالصمم ، ويسمع كل شىء (**تغنى**) : اذا جاء البرد ، ذهب الحر .. (**يعوى الكلب عواء ثاقبا**) اسكت ، يا « كنز » ! آه ، انه لايساوى شيئا ، ذلك الكلب ! انتظر ، سترى ، ضربة جميلة على حنكك . (**يسمع صوت باب مسكن البوابة يفتح . هرير الكلب . نفس الباب يصفق .**)

صوت رجل ثان (**يسبقه وقع بضع خطوات ، وتشوبه لكنة أجنبية خفيفة .**) : صباح الخير ياسيدتى البوابة . الآنسة « كولومبين » هل تسكن هنا ؟

صوت البوابة : لا أعرف هذا الاسم . لا يوجد سوى فرنسيين !

صوت الرجل الثانى (فى نفس الوقت ، صادرا من أعلى ، ينطلق صوت راديو مرتفع جدا) : مع ذلك ، فقد قالوا لى انها تسكن الطابق الخامس من هذه العمارة .

صوت البوابة (وهى تصيح ، لكى يسمعها) : قلت لك انى لا أعرف هذا الاسم !

صوت الرجل الثانى : نعم ، يا سيدتى ؟ **(يثور من الناحية اليمنى ، فى الشارع ، ضجيج شديد لعربة نقل ، تتوقف فجأة بعد تمام ثانيتين .)**

صوت البوابة (ما زالت تصيح) : أكرر لك انى لا أعرف هذا .

صوت الرجل الثانى : ولكن أليس هنا رقم ١٣ من شارع « الدستة » ؟

صوت البوابة (بنفس الطريقة) : من ماذا ؟

صوت الرجل الثانى (أعلى) : أليس هنا رقم ١٣ ؟ ...

صوت البوابة (صارخة) : لا تصرخ بهذه الشدة . انى اسمعك . بالتأكيد هنا رقم ١٣ من شارع « الدستة » . الا تعرف أن تقرأ الفرنسية ؟ هذا مكتوب على اللافتات !

صوت الرجل الثانى : اذن فلابد أن الآنسة كولومبين تقيم هنا !

صوت سائق عربة نقل (فى الشـــــارع) : تعلم كيف تسوق !

صوت البوابة : أنا أعلم منك !

صوت سائق (فى الشارع) : لماذا تخاطبنى بلا كلفة ؟ الا تعرف صيغة الاحترام ؟

صوت البوابة : آه ، افتكرت ، الآنسة كولومبين ، ربما كانت خليلة السيد « بوليسون » ؟

صوت سائق عربة النقل (فى الشارع) : قذر ! مستهتر !

صوت الرجل الثانى : نعم .. هو ذاك ! « بيليسون » .

صوت البوابة : بيليسون أو بوليسون ، لا فرق !

صوت السائق (فى الشارع) : الا يمكنك أن تكون مؤدبا ؟ يا رمة !

صوت البوابة : اذن ، هى ذات الشعر الأحمر ! أن كانت هى ، فهى تسكن هنا ، كما سبق أن قلت لك ! كان عليك أن تشرح ما تريد ! خذ المصعد .

صوت سائق عربة النقل (فى الشارع) : قذر ! قليل الأدب !

صوت السائق (فى الشارع) : قذر ! قليل الأدب !

(أصوات مختلطة تصدر عن المصعد الذى يتحرك ، والراديو ، والعربتين اللتين تستأنفان سيرهما فى الشارع ، ثم « موتوسيكل » يقدح شررا ، ونرى ، فى لمحة تستغرق ثانية ، راكب « الموتوسيكل » يمر ، فى الشارع ، أمام النافذة .)

صوت البوابة (عاليا) : خصوصا لا تنس اعادة اغلاق باب المصعد ! **(لنفسها .)** انهم لا يتذكرون هذا أبدا ، خصوصا الأجانب ! **(تغنى :)**

لا نتقدم ، بالتأكيد ، عندما نخطو فى مكاننا .

لكن هل نتقدم حقا عندما نغير مكا .. مكاننا ؟

(نسمع باب مسكن البوابة يصفق ، لقد دخلت البوابة غرفتها ، هبهبة الكلب ، صوت البوابة يفوق فى حدته صوت الكلب :) طيب ، طيب ، يا كنزى الصغير ! من لم يأخذ قطعته من السكر ؟ خذ ، هاهى ذى قطعتك من السكر ، **(هبهبة)** انسد !

(عواء الكلب . من الناحية اليسرى ، فى الشارع ، عابران نراهما من خلال النافذة ، يظهران . ويمكن أيضا سماع صوتيهما فقط ، دون رؤيتهما . ولكن من الأفضل رؤيتهما . انهما شيخان ، مهدمان ، يسيران فى عناء ، بخطوات قصيرة ،

ويستعين كل منهما بعصاه .)

الشيخ الأول : ياله من جو ردىء .

الشيخ الثانى : ياله من جو ردىء .

الشيخ الأول : ماذا تقول ؟

الشيخ الثانى : ياله من جو ردىء . وماذا تقول ؟

الشيخ الأول : أقول : ياله من جو ردىء .

الشيخ الثانى : استند الى ذراعى لئلا تنزلق .

الشيخ الأول : استند الى ذراعى لئلا تنزلق .

الشيخ الثانى : لقد عرفت أشخاصا لامعين جدا ، لامعين جدا .

المتشرد (يظهر من الجهة اليمنى على الرصيف المقابل . يغنى :) بعد ما تركت البـ ــ حر ــ ية ! **(ينظر الى اعلى نحو النوافذ التى يمكن ان تسقط منها قطع النقود .)**

الشيخ الأول : وماذا كانوا يصنعون ، هؤلاء الأشخاص اللامعون ؟

الشيخ الثانى : كانوا يلمعون بشدة !

المتشرد : تزوجت ما ــ رية !

الشيخ الأول : وأين كانوا يلمعون ، هؤلاء الأشخاص اللامعون ؟ **(يؤدى المتشرد نفس الحركة .)**

الشيخ الثانى : كانوا يلمعون فى المجتمع ، كانوا يلمعون فى الندوات !.. كانوا يلمعون فى كل مكان !

الشيخ الأول : ومتى عرفتهم ، هؤلاء الاشخاص اللامعين ؟

المتشردة (نفس الحركة) : بعد ماتركت البـ ــ حر ــ ية ..

(وهو ينظر فى اتجاه نوافذ الطوابق العليـــا ، يتجه نحو اليسار ، ويتوارى .)

الشيخ الثانى : زمان ، زمان ..

الشيخ الأول : وهل نراهم الآن ، أحيانا ؟

البقال (يخرج من الحانوت المقابل ، بادى الغضب ، ويرسع رأسه نحو نافذة الشيخ الأول) . انت يا سيدى !

الشيخ الثانى : آه ! يا عزيزى ، لا يوجد الان ناس يلعبون .. **(نراه يتوارى يمينا ، وسمعه)** لقد اختفى هذا . ما عدت اعرف اليوم الا اثنين .. من هؤلاء الناس اللاعبين ..

البقال : ايه ياسيدتى ! من تحسبيننى ؟

صوت الشيخ الثانى : .. الا اثنين .. أحدهما على المعاش والاخر مدتوى ! **(نرى الشيخ الأول وهو يتوارى ثالث .)**

البقال (نفس الحركة .) : لا .. فمن تحسبيننى يا سيدتى ؟

صوت المتشرد (يغنى) : ربان السفيـ ـ نة ..

البقال (نفس الحركة) : من تحسبيننى ؟ انما أنا تاجر يا سيدتى ، أنا لا أبيع نفسى . **(يدخل بغضب متجره .)**

صوت المتشرد (وهو يبتعد) :

نادانى وقـــــال لى

تـــزوج ماريتــــك

إذا مال اليها فؤادك .

صوت الشيخ الأول (وهو يبتعد) : حتى لو كان بعضهم موجودين ، لن نفطن اليهم . أن اللاعبين لا يلعبون الآن .

(صخب الفسحة المدرسية الذى ينبعث من الناحية اليسرى وكان قد خفت منذ وهلة ، وتتضاعف شدته . جرس) .

صوت المدرس : أدخلوا الفصـــول ! ادخلوا الفصـــول ! أدخلوا الفصول !

صوت (صادر من الشارع .) : لدينا ثمانية وخمســون ساعيا موزعا ..

صوت المدرس : سكوت ! **(أقدام تضرب الأرض ، صياح،**

قمطرات تفرع، الى آخر هذه الأصوات المنبعثة من الناحية اليمنى) سدوت ، سكوت !

صوت (صادر من الشارع) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا : **(فى المدرسة ، صمت الاطفال .)**

صوت المدرس : درس تاريخ : أتى ممثلو الشعب أمام أسوار قصر الملكة « مارى أنطوانيت » . وصاحوا :

صوت (صادر من الشارع .) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا .

صوت المدرس : صاحوا : « لم يعد لدينا فطير ، ياصاحبة الجلالة ، أعطينا فطيرا » .. فأجابت الملكة : «نفد الفطير » .

صوت (صادر من الشارع .) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا .

صوت المدرس : لا يوجد فطير ، ما عليكم الا أن تأكلوا خبزا . عندئذ غضب الشعب . وقطعوا رأس الملكة . ولما رأت الملكة نفسها بلا رأس ، استاءت حتى فار دمها ، ولم تعش بعد ذلك ، رغم الأطباء الذين لم يكونوا متمكنين من العلم فى تلك الأيام .

صوت (فى الشارع .) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا .

صوت غليظ (فى الشارع .) : كنا على ارتفاع سبعة آلاف متر ، عندما رأيت فجأة أحد جناحى طائرتنا ينفصل .

صوت آخر (نحيل) : يا خبر !

الصوت الغليظ : فقلت لنفسى : حسنا ، بقى الجناح الآخر . وانتقل الركاب الى جانب واحد لكى تتوازن الطائرة ، التى كانت تطير بجناح واحد .

الصوت النحيل : وهل خفت ؟

الصوت الغليظ : انتظر .. على حين فجاة ، فقدت الطائرة

جناحها الثانى ومحركاتها ... ومراوحها .. وكنا على ارتفاع سبعة آلاف متر !

الصوت النحيل : آى !

الصوت الغليظ : فقلت لنفسى ، هذه المرة لقد هلكنا .. **(الصوت يبتعد)** هلكنا ، لا أمل فى شىء .. أتعرف كيف خرجنا من المأزق ؟ انى أراهنك على ألف ..

صوت آخر فى الشارع : سعاتنا الموزعون — وعددهم ثمانية وخمسون — يضيعون وقتا زائدا عندما يذهبون للتبول . خمس مرات يوميا ، فى المتوسط ، يقطعون حركة التوزيع لقضاء حاجاتهم الشخصية . وهذا الوقت لا يخصم من أجورهم . انهم يستغلون الوضع ، يجب تنظيمهم . فليتبولوا مرة واحدة فى الشهر ، كل بدوره . مدة أربع ساعات ونصف بلا انقطاع . وهذا من شأنه أن يوفر لك تلك الروحات والغدات التى تكلفنا كثيرا . ان الجمال أيضا تختزن الماء .

صوت أول (صادر من أسفل) : ركبت القطار . دخلت ديوانى ، وجلست فى المكان المحجوز لى . وتحرك القطار . فى نفس اللحظة ، وصل السيد الذى حجز نفس المكان ، ومعه نفس الرقم . من قبيل المجاملة ، نزلت له عن مكانى وذهبت الى المشى ، فلم يكد يقول «شكرا» . وظللت واقفا ساعتين . وبعد انقضاء ساعتين ، وقف القطار فى محطة ، ونزل السيد من القطار فاستعدت مكانى ، لأنه كان أولا مكانى . ومن جديد ، انطلق القطار . وبعد انقضاء ساعة ، وقف القطار فى محطة أخرى . واذا بالسيد يصعد مرة أخرى ، ويريد أن يسترد مكانه . من الوجهة القانونية ، هل كان له الحق فى استرداده ؟ لقد كان المكان مكانى ، بقدر ما كان مكانه ، ولكنه كان يدعى أن له حقا هو حق المحتل الثانى . واحتكمنا للقضاء ،

فقال لى القاضى ان له امتيازات اضافية ، لأن هذا السيد كان أسقفا وناقدا وانه عن تواضع لم يذكر ألقابه .

صوت آخر من أسفل : ومن كان هذا السيد ؟

الصوت الأول الصادر من أسفل : انه ناقد ، أسقف . « مورفان » الأسقف ، أسقف المورفان .

الصوت الآخر الصادر من أسفل : وكيف يمكن من اللحاق بالقطار ؟

الصوت الأول الصادر من أسفل : بالتخريم .

صوت فى الشارع (أقرب) : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا . **(يظهر الشيخان مرة أخرى من الجانب الآخر للشارع ، أى من الناحية اليسرى .)**

الشيخ الأول : كنت مدعوا الى وليمة الفرح ، طبعا .. ولم أكن مسرورا ، لأنى ، أنا ، لا أحب الأكلة الديك بالنبيذ .

الشيخ الثانى : ألم يقدموا لك الديك بالنبيذ ؟

الشيخ الأول : بلى . ولكنهم لم يقولوا لى انه ديك بالنبيذ ، ولذلك لم يكن لذيذا عندما أكلت .

الشيخ الثانى : هل كان حقا ديكا بالنبيذ ؟

الشيخ الأول : كان ديكا بالنبيذ . ولكن لأنى لم أعلم ذلك ، ضاعت على الوليمة .

الشيخ الثانى : يا ليتنى دعيت بدلا منك . لأننى ، أنا أحب الولائم المضيعة . **(يتوارى الشيخان .)**

صوت فى الشارع : لدينا ثمانية وخمسون ساعيا موزعا .

صوت (صادر من اليمين) : ينبغى أن ننظر جديا فى مسألة تمويلنا .

صوت من أعلى : هل تصدى للمسألة وفد وكلاء النواب ؟

صوت (صادر من اليسار) : ينبغى أن ننظر جديا فى مسألة تمويلهم .

صوت من أعلى : ينبغى أن ننظر جديا فى مسـألة تمويل سعاتنا الموزعين .

صوت اخر صادر من اليسار : لا ، لقد فصلت فى المسألة وكالة وفد النواب .

صوت من اليمين : ما الحيلة ؟ أن الانتاج هو الانتـاج ! ينبغى اعاده النظـر فى الموضـوع ، اعاده النظر فيـه من القاعده .

صوت من اليسار : بما لدينا من رؤساء العمال ، ووكلاء الرؤساء ، والقطاعات والدوائر ، سنشكل قاعدة تنظيمية ، لجنة لتطبيق الاشتراكية .

صوت من أعلى : كبار العمال والدوائر سيؤلفون لجـانا لتنفيذ شركات المنفذين الدين سيؤلفون مجموعات اجتماعية .

صوت من اليمين : هناك المبدأ التنظيمى للقاعدة ووجهة النظر التنظيمية للبناء الأعلى .

صوت من اليسار : والثمانية والخمسون ساعيا موزعا لدينا لا

صوت من أعلى : بعد العمل ، ينبغى تنظيم الراحة .

صوت من أسفل : راحة شديدة جدا .

صوت من اليسار : راحة بالقوة . **(لمدة بضع ثوان يتكاثف الضباب فيظلم المسرح . أثناء هذا الوقت تضعف الأصوات الخارجية ، ولا نسمع الا شذرات من كلام غير واضح .)**

صوت البـوابة (بعـد صفق بعض الأبواب فى مدخـل البيت .) آه ، عندما يختلط الضباب بدخان المصنـع ، لا يمكن أن نسمع شيئا ! **(تنطلق صفارة مصنع قوية جدا .)** لحسن الحظ ، الصفارات موجودة ! **(انقشـع الضـباب ، ونرى — فى الجانب الآخر من الشارع — المتشرد يغنى .)**

صوت المتشرد :

والقبطان الثانى .. نادانى .. وقال الى :
تـــزوج مارية .. تـــزوج مارية ..

(ابتعدت أصوات الشارع ، لتفسح المجال للمشهد التالى .)

المتشرد :

كنت بحارا طيبـــا ،
فـــكن زوجا طيبـــا !

(نسمع ، فى مدخل البيت ، بابا يصفق .)

صوت البوابة (فى هذه الاثناء ، ينظر المتشرد — وهو يدندن — نحو النوافذ التى ستسقط منها قطع النقود ، ورفع عن رأسه قبعته القديمة المزورة ، فيحيى فى الفضاء ، ويتقدم نحو النافذة حتى يصبح فى وسط الشارع .) : لا تخبطى الباب هكذا .

صوت امرأة (فى مدخل البيت .) : وأنت أيضا ، أحيانا يحدث لك أن تخبطيه . أنا لا أفعل عمداً .

صوت البوابة : نعم ، انما ذلك لاننى أنا لا أنتبه .

المتشرد (فى الشارع ، ينظر الى النافذة .) : سلاما ، سيداتى وسادتى ! شكرا ، سيداتى وسادتى . **(يتذمر لأن قطع النقود لا تسقط .)** ما هم من أهل الكرم ، يا ساتر !

صوت البوابة (تغنى) : اذا جاء الحر ، فلأن الدنيا برد !

المتشرد (بينما تردد البوابة نفس القرار ، عبر الشارع ، يمسه من الخلف راكب موتوسيكل منطلق بأقصى سرعة ، نسمع صوت صاحب الموتوسيكل : ((يا جنس ..)) .) فكن زوجا طيبا ! **(لقد اقترب تماما من النافذة ، ثم وهو يدندن :)**

ولـــكن احـــذر مـــع ذلك ،
ولـــكن احـــذر مـــع ذلك !

(ينظر من النافذة الى داخل غرفه بيرانجيه ، ملصقا وجهه وانفه – الذى ينبطح – بالزجاج المغلق .)

البوابة (تظهر بجلالة قدرها على الرصيف ، فتكنسه وهى تدندن ، ثم تصطدم بالمتشرد) : ماذا تعمل هنا ، أنت ؟

المتشرد : أغنى !

البوابة : أنت توسخ الزجاج . انه ساكن عندى ! وأنا التى اتولى تنظيف الزجاج .

المتشرد (منهكما) : اوه ! العفو يا سيدتى . ما كنت أعلم . لا تغضبى ..

البوابة : هيا ، انصرف ، بلا كلام !

المتشرد (وما زال مستهزئا وثملا الى حد ما) : سمعت ذلك أكثر من ألف مرة ، انك مبتذلة جدا ، يا سيدتى .

البوابة (تهدده بمكنستها .) : سوف أوقع عليك ، أنا ، تقديراتى .

المتشرد : لا لزوم ، يا سيدتى ، انى منصرف ، يا سيدتى ، عفوا ! **(يبتعد ، نسمعه يدندن :)**

بعد ما تركت البحرية
تزوجت ماريـة

البوابة (وهى مازالت فى الشارع ، بجوار النافذة ، تستدير فجأة بعد أن سمعت نباح كلبها) : انسـد ! .. الساعى ! **(الى الساعى)** لمن يا حضرة الساعى ؟

صوت الساعى : هذه برقية للسيد بيرانجيه !

البوابة : فى الطابق الارضى . الى اليمين .

صوت الساعى : شكرا .

البوابة (وهى تلوح بمكنستها ناحية المتشرد الذى توارى عن الانظار .) : قذر . **(وهى تهز كتفيها .)** انه ليس بحارا أكثر مما أنا بحارة . **(نسمع الساعى يطرق باب بيرانجيه ، بينما تكنس البوابة الرصيف .)** آه من براز

الكلاب ، ليس كلبى هو الذى يفعل مثل هذا .

صوت الساعى : ليس من يجيب .

البوابة (للساعى الذى لا نراه) : أقرع بشدة . انه موجود .

صوت الساعى : قلت لك ليس هناك من يجيب .

البوابة : ناس لا يعرفون حتى كيف يطرقون الباب ! **(تتوارى فى مدخل البيت .)**

صوت البوابة : لا يمكن أن يكون قد خرج . انما أنا اعرف عوائده . انه ساكن عندى . بل أنا التى أنظف غرفته ، وامسح له الزجاج .

صوت الساعى : حاولى ! **(نسمع طرقات قوية متتابعة على باب غرفة بيرانجيه .)**

صوت البوابة (وهى تقرع الباب) : ياسيدى بيرانجيه ، يا سيدى بيرانجيه ! **(سكون . طرقات جديدة .)** يا سيد بيرانجيه ! يا سيد بيرانجيه !

صوت الساعى : ماذا قلت لك ؟

صوت البوابة : هذا شىء عجيب ! لا يمكن ان يكون قد خرج . ربما كان نائما ، ولكن ليست هذه من عوائده . أقرع بشدة . وسأذهب أنا لأرى ! **(الساعى يواصل الطرق . تعود البوابة للظهور أمام النافذة ، تلصق بالزجاج وجهها الذى ينبغى أن يكون — بطبيعة الحال — وجها بشعا ، ويزيده قبحا انبطاح الأنف على سطح الزجاج .)**

البوابة : يا سيد بيرانجيه ! رد يا سيد بيرانجيه ! **(فى الوقت نفسه ، نسمع الساعى يطرق الباب .)**

الساعى : يا سيد بيرانجيه ، برقية يا سيد بيرانجيه !

البوابة : يا سيد بيرانجيه ، هناك برقية لك .. ياللعجب ، **(فترة سكون .)** ترى أين يكون ؟ انه لا يمكث فى غرفته أبدا ! **(تطرق من جديد زجاج النافذة ، بينما لا نزال نسمع**

على الباب طرقات الساعى •) هناك ناس يتنزهون ، ولاعمل لهم غير ذلك ، وأما نحن فنكدح • • أنه غير موجود ! (تختفى، ولابد أنها بالقرب من مدخل البيت ، نرى من ركن النافذة ذراعها ويد مكنستها تتحركان •)

صوت الساعى : ما دام غير موجود ، فهو غير موجود • كنت تقولين انه يمكث طول الوقت فى غرفته !

صوت البوابة : لم أقل أبدا هذا ! ناولنى البرقيـة ، سوف اعطيه اياها ! (**تتوارى تماما** •) اننى أنا التى أمسح له الزجاج •

صوت الساعى : ليس من حقى أن أعطيك اياها • لا أستطيع •

صوت البوابة : فليكن ! احتفظ بها •

صوت الساعى : انى أعطيك اياها مع ذلك • هاهى •

صوت البوابة : يجب على بعد ذلك ان انرقب عودته ! يا مفيث !..

(سكون • انقطعت الضوضاء انقطاعا مباغتا ، بعد أن خفتت تدريجا صفارة مصنع أخير • وربما أمكننا أن نسمع أيضا ، للمرة الاخيرة ، سباب البوابة الموجه الى كلبها ، يعقبه عواء هذا الـكلب • بضـع لحظات من الصمت • ثم نرى فى الشارع ، قادما من الناحية اليمنى ، ورأسه يوازى أسفل النافذة ، برانجيـه يسير عائدا الى مسكنه • انه يرتدى معطفه ويمسك فى يمناه ، بطريقة عصبية ، قبعته التى راح يهـزها بشـدة • وهو يمشى منحنى الرأس • بمجـرد أن يتجاوز مجال النافذة ، نسمع وقع خطواته فى مدخل البيت • ونسمع صوت المفتاح يدور فى القفل •)

صوت البوابة (مؤدبا جدا•) : آه ، هذا أنت يا سيد

بيرانجيه . هـل قمت بنزهة جميلـة ؟ انك على حق فى استنشاق الهواء ! انت محتاج الى ذلك !

صوت بيرانجيه : صباح الخير ، يا سيدتى .

صوت البوابة : ان كنت قـد تنزهت ، فمعنى ذلك انك خرجت . انى لم أسـمعك وأنت تغـادر البيت . لماذا لم تخبرني ؟ لم يكن عندى المفتاح لكى أنظف غرفتك . وكيف أعرف ؟ كنت أود . لقد جاءتك برقية ! (**سـكون . كف بيرانجيه عن فتح الباب ، لا بد أنه يقرأ البرقية .**) ربما لم تكن لامر عاجل ؟ لذلك قرأتها . انه تاجر الحاجيـات . يطلبك على وجه السرعة . ليس ما يدعو لأن تقلق .

(نسمع من جديد صرير المفتاح فى القفل . ينفتح باب غرفة بيرانجيه برفق . نسمع البوابة تتمتم فى غضب بكلام غير مفهوم ، وانخبط باب مسـكنها ، والـكلب يجأر . يرى الناظر ، فى الحجرة وهى نصف مظلمة ، شبح بيرانجيه يظهر . انه يتقدم ، بخطوات بطيئة ، نحو وسط المسرح . السـكون شـامل . يضغط بيرانجيه على الزر الكهربائى ، فيضىء المسرح . نلمح ، قابعا فى ركنه ، مرتديا معطفه ، وقبعته على رأسه ، وقد وضع حقيبته عند قـدميه ، ((ادوار)) الذى يشـهل سـعالا خفيفـا . يشرئب بيرانجيـه من دهشته أولا لسماع هذا السعال ، وفى الوقت نفسه تقريبا لمرأى ((ادوار)) .)

بيرانجيه (وهو يقفز) : آه ، ماذا تفعل هنا ؟

ادوار (بصوت نحيل ، حادقليلا ، يشبه صوت الاطفال ، وهو يسعل سـعاله الخافت ، وينهض ويتناول حقيبتـه ويحملها بيده) : الجو ليس دافئا ، عندك .

(يبصق فى منديله ، ولكى يفعل ذلك ، يضع حقيبته

من جديد على الأرض ، ويخرج أيضا يده اليمنى من جيبه ، يدا يابسة قليلا ، ويبدو بوضوح أنها أقصر من الأخرى ، ثم يعيد تطبيق منديله بعناية ، وبنظام منهجي ، ويرده الى جيبه ، ويستعيد حقيبته .)

بيرانجيه : لقد اخفتني .. لم أكن أتوقع زيارتك . ماذا تفعل هنا ؟

ادوار : كنت في انتظارك . (**يعيد يده القصيرة الى جيبه .**) صباح الخير ، يا بيرانجيه .

بيرانجيه : كيف دخلت ؟

ادوار : دخلت من الباب يا أخي . فتحت الباب .

بيرانجيه : وكيف فعلت ؟ لقد كانت المفاتيح معي !

ادوار (يخرج من جيبه مفاتيح ويريها لبيرانجيه) : ومعي أيضا . (**يعيد المفاتيح الى جيبه .**)

بيرانجيه : كيف حصلت على هذه المفاتيح ؟ (**يضع قبعته على المائدة .**)

ادوار : انما .. أنت نفسك الذى سلمتني مجموعة منها ، لكي أدخل لديك عندما أريد وأنتظرك ، في حالة غيابك .

بيرانجيه (وهو يبحث في ذاكرته) : أنا .. أعطيتك هذه المفاتيح ؟ .. متى ؟ .. انى لا أتذكر .. مطلقا ..

ادوار : ومع ذلك فأنت الذى سلمتني اياها . والا ، فكيف كان يمكنني أن أحصل عليها ؟

بيرانجيه : هذا شيء عجيب ، يا عزيزى ادوار . بالاختصار ، ما دمت تقول ..

ادوار : أؤكد لك .. اعذرني ، يا بيرانجيه ، انى أردها اليك ان كان يضايقك أن أحتفظ بها معي .

بيرانجيه : على كل حال .. لا ، لا .. احتفظ بها ، يا ادوار ، احتفظ بها ما دامت معك . اعذرني ، ان ذاكرتي

ضعيفة . ولست أتذكر انني اعطيتك اياها .

ادوار : بلى ، مع ذلك .. تذكر ، كان ذلك في السنة الماضية ، اظن . ذات يوم أحد لما ..

بيرانجيه (يقاطعه) : البوابة لم تقل لى أنك في انتظارى .

ادوار : لا بد أنها لم تلمحنى ، معذرة ، فلم أكن أعلم انه يجب استئذانها فى الدخول عندك . ألم تقل لى أنت انهذا غير ضرورى ؟ على انك ان كنت لا ترغب فى زيارتى ..

بيرانجيه : لست اعنى هذا . ان وجودك يسرنى دائما .

ادوار : أنا لا أريد أن أزعجك .

بيرانجيه : أنت لا تزعجنى مطلقا .

ادوار : أشكرك .

بيرانجيه : انما ضعف ذاكرتى هو الذى يحزننى .. **(لنفسه)** ومع ذلك ، فالبوابة لم يمكنها أن تغادر البيت ، هذا الصباح ! **(الى ادوار)** ماذا بك ؟ انك ترتعش .

ادوار : نعم ، فعلا ، لست أحس أننى فى حالة جيدة ، انى أشعر بالبرد .

بيرانجيه (وهو يتناول يد ادوار السليمة ، بينما يدس ادوار يده الاخرى فى جيبه) : حرارتك دائما مرتفعة ، انك تسعل وترتجف . انك شاحب جدا . وعيناك تحترقان .

ادوار : ان الرئتين .. شىء يتعذر اصلاحه .. منذ أضابنى هذا ..

بيرانجيه : وما أفسد التدفئة فى هذه العمارة .. **(دون ان يخلع معطفه ، يجلس فيغوص ، وهو عابس ، فى كرسى كبير بجوار المائدة ، بينما يظل ادوار واقفا .)** اجلس . يا ادوار .

ادوار : شكرا . شكرا جزيلا . (**يجلس على الصوان ، بجوار النافذة ، وهو يضع بحرص حقيبته على مقربة منه ، فى متناول يده . برهة من السكون ، ثم يلحظ وجه بيرانجيه القاتم وهو يتنهد**) يبدو انك شديد الحزن ، عليك أمارات الاعياء والقلق ..

بيرانجيه (لنفسه) : ليته مجرد القلق ..

ادوار : أتكون مريضا أيضا ؟.. ما الذى جرى ؟ هل حدث لك شيء ؟

بيرانجيه : لا ، لا .. لا شيء مطلقا . اننى هكذا .. لست مرحا بطبعى ! بررر .. انى أيضا أشعر بالبرد ! (**يفرك يديه .**)

ادوار : لا بد أن شيئا قد حدث لك . ان أعصابك متوترة ، انك فى حالة هياج تام ! قل لى ماذا الم بك — ان لم يكن الأمر سرا — فهذا سيعيد اليك الهدوء .

بيرانجيه (ينهض ويخطو — بانفعال — عدة خطوات فى الغرفة) : هناك ما يدعو ..

ادوار : ما الذى جرى ؟

بيرانجيه : اوه ، لا شيء ، لا شيء وكل شيء .. كل شيء ، كل شيء ...

ادوار : بودى ان أتناول قدحا من الشاى ، لو أن هذا ممكن ..

بيرانجيه (يتخذ فجأة اللهجة التراجيدية التى تلقى بها التصريحات الخطيرة) : عزيزى ادوار ، اننى مجروح ، يائس ، لا عزاء لى !

ادوار (دون ان يغير نبرة صوته) : مجروح لماذا ؟ ولا عزاء لك لماذا ؟

بيرانجيه : اغتالوا خطيبتى !

ادوار : ماذا تقول ؟

بيرانجيه : اغتالوا خطيبتى ، اسمعت ؟

ادوار : خطيبتك ؟ فهل انت خاطب ؟ انك لم تحدثنى أبدا عن مشروع زواج يراودك .. مبروك . والبقية فى حياتك أيضا . من كانت خطيبتك ؟

بيرانجيه : فى الواقع .. هى لم تكن بالضبط خطيبتى .. انها فتاة ، فتاة كان يمكن أن تصبح خطيبتى .

ادوار : آه ، هو ذاك !

بيرانجيه : فتاة حسناء بقدر ما هى وديعة ، رقيقة ، نقية كأنها ملاك . هذا فظيع . فظيع جدا .

ادوار : منذ متى كنت تعرفها ؟

بيرانجيه : ربما منذ الأبد . وعلى وجه التأكيد ، منذ صباح اليوم .

ادوار : شىء حديث العهد .

بيرانجيه : لقد انتزعوها منى .. انتزعوها ! .. لقد .. (يلوح بيده)

ادوار : لا بد أنه شىء مؤلم .. هل عندك شاى ، من فضلك ؟

بيرانجيه : اعذرنى ، فقد انصرف فكرى عما تطلب .. ازاء هذه المأساة .. التى تمزق حياتى ! نعم ، نعم ، عندى شاى .

ادوار : انى أفهمك .

بيرانجيه : لا تستطيع أن تفهمنى .

ادوار : أوه ، بلى .

بيرانجيه : لا أستطيع أن أقدم لك الشاى . انه متعطن . لقد نسيت .

ادوار : اذن ، فكأسا من الروم ، أرجوك .. ان جسمى

كله ينتفض . (**بيرانجيه – وهو يتكلم – يتناول زجاجة روم ، ويملأ كأسا صغيرة لادوار ، ويمدها اليه .**)

بيرانجيه : سوف أفتقدها ، دائما . لقد انتهت حياتى . انه تمزق لن يلتئم أبدا !

ادوار : انك ممزق تماما ، يا صديقى المسكين ! (**وهو يتناول كأس الروم**) شكرا . (**بلهجة غير المكترث دائما**) يا صديقى المسكين !

بيرانجيه : وليت الأمر قد اقتصر على هذا ، ليته اقتصر على مقتل هذه الفتاة المنكودة . أتدرى ، هنـــاك أشياء تحدث ، أشياء فظيعة تحدث فى الدنيا ، فى مدينتنا ، أشياء رهيبة ! لا يتصورها الخيـــال .. بجوارنا هنا .. بجوارنا نسبيا .. بل معنويا ، انها تقع هنا !.. (**يقرع صدره . ادوار يتجرع الروم ، فيشرق ، ويســـعل .**) انك لست بخير !

ادوار : هذا لا شيء . انه قوى . (**يواصل السعال .**) لابد أننى ابتلعت بانحراف .

بيرانجيه (وهو يضرب ادوار على ظهره ضربة خفيفـة لكى يقف سعاله ، ويسترد كأســـه بيده الاخرى) : كنت أعتقد أننى استعدت كل شيء ! استعدت كل شيء . (**الى ادوار**) ارفع رأسك . انظر الى السقف . سينقطع هذا .. (**يواصل حديثه**) كل ما فقدته ، وكل مالم أفقده ، كل ما كنت امتلكه ، وكل مالم أمتلكه أبدا ..

ادوار (الى بيرانجيه الذى لايزال يقرع ظهره) : شكرا .. لا بأس هكذا .. انك توجعنى .. هذا يكفى ، أرجوك .

بيرانجيه (يمضى ليضع الكأس الصغيرة على المائدة ، بينما يبصق ادوار فى منديله) : كنت أعتقد أن الربيع قد عاد الى الأبد .. اننى وجدت الضالة التى لاتوجد ، الحلم ،

المفتاح ، الحياة .. كل ما فقدناه ونحن نعيش .
ادوار (وهو يسعل سعالا خفيفا) : أجل . بكل تأكيد .
بيرانجيه : كل ما تصبو اليه نفوسنا بلا وعى ، كل ما نبتغيه فى الخفاء ، من أعمق أعماقنا ، ودون أن ندرك أمره .. آه ، كنت أعتقد اننى قد نلت كل شىء .. كانت أرضا لم يرتدها أحد ، ساحرة الجمال ..
ادوار : انك دائما تبحث عن أشياء عجيبة . انك تضع لنفسك أهدافا لا سبيل اليها .
بيرانجيه : كيف وقد كنت هناك ؟ كيف والفتاة ..
ادوار : الدليل هو انك لم تعد هناك ، وانها لم تعد فى الدنيا . ان مشاكلك معقدة ، بلا فائدة . نعم . لقد كان فى نفسك دائما سخط ، تمرد يأبى الاذعان .
بيرانجيه : ذلك اننى أختنق .. انى لا أتنفس الهواء المقدر لى .
ادوار (وهو يسعل سعالا خفيفا) : اعتبر نفسك سعيدا لأنك بصحة جيدة ، لأنك بغير عاهة أو مرض .
بيرانجيه (دون أن يأبه لما يقوله له ادوار) : لا . لا . لقد رأيت ، حسبت أننى بلغت شيئا ما .. شيئا يشبه عالما آخر . نعم ، ان الجمال وحده يستطيع أن يفتح أزهار الربيع بلا نهاية .. تلك الأزهار الخالدة .. للأسف ، لم يكن ذلك سوى نور خلاب !.. فمن جديد ، من جديد ، انهار ذلك فى الهاوية .. فى ثانية ، فى ثانية ! انه نفس السقوط ، يتكرر .. **(كل هذا الكلام يلقى بلهجة خطابية ، فى منتصف الطريق بين الصدق والتمثيل .)**
ادوار : انت لا تفكر الا فى نفسك .
بيرانجيه (باحتداد خفيف) : هذا غير صحيح . هذا غير صحيح . أنا لا أفكر فى نفسى فقط . فليس من أجل نفسى

.. أو من أجل نفسى وحدها أنا أتألم فى هـــذه اللحظة ؛ وأرفض هذه الأوضاع ! انما تأتى لحظة لا يستطيع المـرء فيها أن يقر الأمور الفظيعة التى تحدث ..

ادوار : ولكنه نظام الدنيا . أنا ، مثلا ، انى مريض .. لقد وطنت نفسى على ذلك ..

بيرانجيه (يقاطعه) : ان هـــذا يثقل على النفس ، يثقل بشكل رهيب ، لاسيما بعد أن يعتقد المرء أنه اجتلى .. بعد أن يعتقد أنه يستطيع أن يأمل .. آه ، آه .. الآن لا حول لى .. اننى متعب .. وهى قد ماتت ، لقد ماتوا ، لسوف يقتلونهم جميعا .. ولا يمكن منع الاجرام ..

ادوار : وكيف ماتت ، تلك الخطيبة التى لعلها لم تـــكن موجوده ؟ ومن هم أولئك الذين سيقتلون ، أيضا ، فضلا عن الذين يقتلون فى العادة ؟ عم تتكلم هكذا ؟ اهى أحلامك التى يقتلونها ؟ ان التعميم لا يعنى شيئا .

بيرانجيه : انها ليست أقوالا ألقيها فى الهواء ..

ادوار : اعذرنى . أنا لا أكاد أفهمك . أنا لا ..

بيرانجيه : أنت دائما قابع فى جحرك . انك لا تعلم شيئا أبدا . أين تعيش ؟

ادوار : حدد ، خبرنى .

بيرانجيه : انه شىء لايمكن تصديقه مطلقا . يوجد ، فى مدينتنا ـ مادمت لا تدرى ـ حى جميل .

ادوار : وبعد ؟

بيرانجيه : نعم ، يوجـــد حى جميل . أنا وجـــدت الحى الجميل ، وأنا عائد منه . انهم يسمونه « المدينة المنيرة » .

ادوار : وبعد ؟

بيرانجيه : على الرغم من اسمه ، فهو ليس حى الفرح ، الحى النموذجى ، الحى الممتاز . هناك شرير ، سفاح نهم

قد حوله الى جحيم .

ادوار (يسعل) : اعذرني ، انى أسعل ، بالرغم منى !

بيرانجيه : هل تسمعنى ؟

ادوار : بكل وضوح . هناك سفاح قد حوله الى جحيم .

بيرانجيه : انه يبث الارهاب ، يقتل الجميع . والناس تهجر الحى . ولن يكون له وجود .

ادوار : آه ! نعم ، لقد أدركت الموضوع الآن ! لاشك أنك تعنى المتسول الذى يرى الناس صورة الكولونيل ويلقيهم فى الماء وهم ينظرون اليها ! تلك حيلة لخداع البسطاء . كنت أعتقد أنك تتحدث عن شىء آخر . ان لم يكن الأمر الا هذا ..

بيرانجيه (مندهشا) : هل كنت تعرف ذلك ؟ هل كنت على علم ؟

ادوار : منذ عهد بعيد ـ ماذا تظن ؟ لقد كنت أحسب انك ستنبئنى بشىء جديد ، بأن هناك حيا جميلا ثانيا .

بيرانجيه : ولماذا لم تقل لى أبدا أى شىء ؟

ادوار : كنت أعتقد أن الأمر لا يستحق الذكر . ان المدينة كلها تعرف القصة ، بل يدهشنى جدا أنك أنت لم تعرفها قبل الآن ، فهى خبر قديم . من لا يعرف هذه الحكاية ؟ . لقد كنت أرى من غير المفيد أن أحدثك عنها .

بيرانجيه : كيف ؟ كل الناس على علم ؟

ادوار : مادمت أقول لك ذلك . أترى ، أنا نفسى أعرف الحكاية . والحكاية معروفة ، مفهومة ، مصنفة . حتى تلاميذ المدارس يعرفون ..

بيرانجيه : حتى تلاميذ المدارس ؟ .. هل أنت متأكد ؟

(يسعل سعالا خفيفا)

ادوار : طبعا .

بيرانجيه : كيف استطاع تلاميذ المدارس أن يعلموا ؟..

ادوار : لابد أنهم سمعوا آباءهم يتكلمون .. أو الكبار.. مدرس المدرسة أيضا عندما يعلمهم القراءه والكتابة .. هلا أعطيتنى مرة أخرى قليلا من « الروم » ؟.. بل لا ، ان ذلك يسبب لى مزيدا من الألم . يستحسن أن أمتنع . (**يستأنف شرحه**) ذلك شيء يؤسف له ، بلا شك .

بيرانجيه : يؤسف له جدا ! يؤسف له غاية الأسف ..

ادوار : وماذا تريد من الناس أن يفعلوا فى هذا الشأن ؟

بيرانجيه : اسمح لى أن أقول لك ، بدورى ، فى هذه الحال ، الى أى درجة أنا نفسى مندهش من أن الأمر لا يروعك الى أكثر من هذا الحد .. لقد ظننت دائما أنك رجل حساس ، انك انسان .

ادوار : لعلى كذلك .

بيرانجيه : انه شيء فظيع . فظيع .

ادوار : هذا رأيى . أنا لا أعارضك .

بيرانجيه : ان عدم اكتراثك يثير ثائرتى ! وأقول لك هذا فى وجهك .

ادوار : وما العمل ؟.. أنا ..

بيرانجيه (بصوت أقوى) : ان عدم اكتراثك يثير ثائرتى !

ادوار : لاحظ .. ان الخبر بالنسبة اليك خبر جديد جدا ..

بيرانجيه : ليس هذا سببا . أنت تحزننى يا ادوار ، صدقنى أنت تحزننى .. (**ينتاب ادوار سعال عنيف . يبصق فى منديله .**)

بيرانجيه (وهو يهرع نحو ادوار ، اذ يكاد يغمى عليه) هل تشعر بألم ؟

ادوار : كوبا من الماء .

بيرانجيه : حالا آتيك به . (**يسنده .**) تمدد هنا .. على الأريكة ..

ادوار (بين سعلتين أو شهقتين) : حقيبتى .. (**ينحنى بيرانجيه ليتناول حقيبة ادوار . وعلى الرغم من انه فى حالة اغماء تقريبا ، يثب ادوار وثبة فينفلت من يدى بيرانجيه ليمسك بالحقيبة .**) دع عنك .. دع عنك .. (**يأخذ من يدى بيرانجيه الحقيبة التى قبض هذا عليها ، ثم — وهو ما زال يترنح ويتوكأ على بيرانجيه — يصل الى الأريكة ، فيتمدد عليها بمعاونة بيرانجيه ، ويضع الحقيبة بجانبه .**)

بيرانجيه : أن العرق يغمرك ..

ادوار : ومثلوج فى الوقت نفسه ، آه .. هذا السعال ، شىء رهيب ..

بيرانجيه : لا تتعرض للبرد . هل تريد غطاء ؟

ادوار (وهو ينتفض) : لا تقلق . هذا لاشىء .. سوف ينقضى ..

بيرانجيه : استقر . استرح .

ادوار : كوبا من الماء ..

بيرانجيه : حالا .. آتيك به .

(يخرج مندفعا ليحضر كوب الماء . يسمع صوت الماء يتدفق من صنبور . أثناء هذا الوقت ينهض ادوار ، متكئا على مرفق ، ويمسك عن السعال ، ويتحقق — بيد قلقة — من قفل حقيبته الضخمة السوداء ، فيطمئن قليلا ، ثم يستلقى من جديد ، وهو ما زال يسعل ، ولكن سعالا أخف . يجب الا يوحى ادوار بأنه يحاول خداع بيرانجيه ، فهو حقا مريض ، ولديه غير ذلك من دواعى القلق ، كحقيبته مثلا . يجفف جبهته)

بيرانجيه (عائدا ومعه كوب الماء .) : هل تشعر بتحسن؟

ادوار : شكرا .. **(يشرب جرعة من الماء ، بيرانجيه يستعيد الكوب .)** اعذرني ، انى سخيف . لا بأس الآن .

بيرانجيه : بل على أنا أن أعتذر . كان ينبغى أن أدرك .. أن الانسان اذا كان هو نفسه مريضا ، اذا كان شديد المرض ، مثلك ، أصبح من الصعب عليه أن يلقى بالا الى شيء آخر ... لقد ظلمتك . وفى الواقع ، ربما كانت تلك الجرائم المروعة التى تقع فى المدينة المنيرة هى السبب فى مرضك . لابد أن ذلك قد أثر فيك ، عن وعى أو غير وعى . نعم ، هو ذاك ، بلا شك ، ما يضنيك . يجب ألا تسرع فى الحكم على الناس ، انى أعترف بهذا . فالمرء لا يستطيع أن يعرف قلوب الناس ...

ادوار (ناهضا) : انى أتجمد من البرد عندك ..

بيرانجيه : لا تنهض . فسأحضر لك غطاء .

ادوار : من الأفضل أن نخرج لنزهة صغيرة ، كى تستنشق الهواء . لقد انتظرتك هنا ، فى البرد ، مدة طويلة جدا . ولا شك أن الجو أدفأ فى الخارج .

بيرانجيه : انى فى غاية التعب ، معنويا ، فى غاية الهبوط . كنت أفضل أن أنصرف الى النوم ... على كل حال ، ما دمت تحرص على النزهة ، فسأرافقك رغم ذلك قليلا !

ادوار : انك عظيم الاحسان ! **(يعيد الى رأسه قبعته ، وهى من اللباد يطوقها شريط أسود ، ويشد أزرار معطفه القاتم وينفض ما علاه من غبار ، بينما يكبس بيرانجيه رأسه فى قبعته أيضا . يتناول ادوار حقيبته السوداء الثقيلة المحشوة . يسبقه بيرانجيه الذى أدار له ظهره وهو يمشى ، وعندما يقترب ادوار من المائدة ، ويريد أن يمر بحقيبته من فوقها ، تنفتح الحقيبة وينقلب جزء من محتوياتها على**

المائدة . وأول تلك المحتـويات صـــور فوتوغرافية كبيرة الحجم) حقيبتي !

بيرانجيه (مستديرا ليستطلع الضجة) : ماذا .. آه ..
(يندفعان في وقت واحد نحو الحقيبة .)

ادوار : دع عنك ، دع .

بيرانجيه : بل دعني ، انتظر ، سوف أساعدك .. **(يلمح الصور .)** الا .. الا .. ما هذا الذى لديك ؟ **(يمسك باحدى الصور . ادوار يحاول — دون أن يفرط في الانفعال مع ذلك — أن يستردها منه ، وأن يخفى ، بيديه ، الصور الأخرى التى تنساب من الحقيبة ، وأن يدخلها فيها .)**

بيرانجيه (والم يفلت الصورة من يده ، وانما ينظر اليها ، رغم معارضة ادوار) : ما هذا ؟

ادوار : صورة بلا شك .. صور ..

بيرانجيه (وهو ما زال ممسكا بالصورة ناظرا اليها) : انه رجل عسكرى ، ذو شارب ، وأشرطة .. كولونيل بنياشينه ، ووسام الشرف .. **(يتناول صورا أخرى .)** هذه صور أخرى ! وانما نفس الوجه !

ادوار (ناظرا ، هو أيضا) : نعم .. فعلا .. انه كولونيل .
(يبدو عليه أنه يريد أن يستولى على الصور ، بينما تواصل صور أخرى عديدة الانسياب على المائدة .)

بيرانجيه (بحزم) : دعني أنظر ! **(ينبش في الحقيبة ، ويخرج منها صورا أخرى ، ويحدق من جديد في واحدة منها .)** انه وجه حسن . تعبير أدعى الى التحنن . **(يخرج صورا أخرى . ادوار يجفف جبهته)** ما معنى هذا ؟ انما هذه هى الصورة المنشودة ، صورة الكولونيل ! كانت معك هنا .. ولم تحدثني عنها أبدا ؟

ادوار : انني لا أنظر كل الوقت في حقيبتي .

بيرانجيه : انها حقيبتك ، مع ذلك ، وأنت لا تفارقها أبدا .

ادوار : ليس هذا سببا ..

بيرانجيه : بالاختصار .. لننتهز الفرصة . ما دمنا فيها فلنواصل البحث .. **(يدس بيرانجيه يده في الحقيبة السوداء الضخمة . ادوار يفعل مثله ، بيده الشديدة البياض ، المقوسة الأصابع ، التي تظهر الآن بصورة واضحة جدا .)** مزيد من صور الكولونيل .. وأكثر .. وأكثر .. **(الى ادوار الذي راح يخرج كذلك أشياء من حقيبته ، وقد بدا عليه العجب)** وهذا ؟

ادوار : هذه زهور صناعية ، كما ترى .

بيرانجيه : توجد منها كميات !.. وهذا ؟.. انظر ، هذه صور مخلة بالحياء .. **(ينظر اليها . ويمضي ادوار لينظر اليها من فوق كتف بيرانجيه .)** شيء قبيح !

ادوار : عفوا ، **(يبتعد خطوة .)**

بيرانجيه (يلقي الصور المخلة بالحياء ، ويواصل الجرد) : حلوى .. حصالات .. **(كل منهما يخرج من الحقيبة أشياء مختلفة .)** .. ساعات للأطفال !.. ولكن لماذا جاءت مثل هذه الأشياء هنا ؟

ادوار (متلعثما) : أنا .. أنا لا أدري .. أنا كما أقول لك ..

بيرانجيه : ماذا تفعل بها ؟

ادوار : لا شيء . ماذا يمكن أن يفعل المرء بها ؟

بيرانجيه (ولا يزال يخرج من الحقيبة ـ وهي من قبيل حقائب الحواة التي لاتنضب ـ أشياء من كل صنف بكميات خيالية ، تنتشر على سطح المائدة بأكمله ، كما يسقط جزء منها على الأرض .) : دبابيس .. ودبابيس .. وأقلام ..

وهذا .. وهذا .. ما هذا ؟ (**بعض الاشياء تتطاير واخرى يطوح بها بيرانجيه فى كل ناحية من الغرفة .**)

ادوار : هذا ؟.. لا أدرى .. لا أعرف اى شيء .. لا علم لى .

بيرانجيه (وهو يريه علبة) : وما هذا ؟

ادوار (وهو يأخذ العلبة فى يده) : يبدو لى ان هذا الشيء علبة ، أليس كذلك ؟

بيرانجيه : فعلا . انها علبة من الورق المقوى . فما الذى يوجد فى داخلها ؟

ادوار : لا أدرى ، لا أدرى . لا أستطيع أن أجيبك .

بيرانجيه : افتحها ، هيا ، افتحها !

ادوار (بدون مبالاة تقريبا) : ان كنت ترغب فى ذلك .. (**يفتح العلبة .**) ليس فيها شيء ! آه ، بلى ، فيها علبة أخرى .. (**يخرج العلبة الصغرى .**)

بيرانجيه : وفى هذه العلبة الأخرى ؟

ادوار : انظر أنت .

بيرانجيه (وهو يخرج علبة ثالثة من العلبة الثانية) : علبة أخرى . (**ينظر فى العلبة الثالثة .**) فى داخلها ، علبة أخرى أيضـــا . (**يخرجها**) وفى داخلها ، علبة كذلك .. (**ينظر فى العلبة الرابعة .**) وفى داخلها ، علبة كذلك .. وهكذا .. الى اللانهاية ! فلنستعرض غيرها ..

ادوار : أوه ، اذا شئت .. ولكننا لن نستطيع ان نتنزه بعد ذلك ..

بيرانجيه (وهو يخرج علبا) : علبة علب .. علبة علب .. علبة علب .. علبة علب !

ادوار : لا شيء سوى العلب ..

بيرانجيه (يخرج من الحقيبة حفنة من السجاير)

سجائر !

ادوار : هذه سجائرى !.. (**يجمعها ، ثم يتوقف**) تفضل وخذ واحدة منها ..

بيرانجيه : شكرا ، أنا لا أدخن . (**ادوار يضع حفنة السجائر فى جيبه ، وهناك سجائر أخرى متناثرة على المائدة ، وتقع على الأرض .**)

بيرانجيه (**يحدق فى ادوار**) : ان هذا هو متاع الوحش ! كان معك فى الحقيبة !

ادوار : ما كنت أعرف عن ذلك شيئا ، ما كنت أعرف شيئا ! (**يتظاهر باستجماع الحقيبة .**)

بيرانجيه : لا ، لا . أفرغ كل شىء ! هيا !

ادوار : هذا يتعبنى . قم أنت بذلك ، ولكنى لا أرى انه ضرورى . (**يمد اليه الحقيبة مفتوحة .**)

بيرانجيه (**وهو يخرج علبة أخرى**) : وهذه أيضا مجرد علبة .

ادوار : انك تراها .

بيرانجيه (**وهو ينظر فى الحقيبة وقد أفرغت .**) : ليس بها الآن شىء !

ادوار : هل أستطيع أن أعيد الأشياء ؟. (**يبدأ فى جمع الأشياء ووضعها بغير نظام فى الحقيبة**)

بيرانجيه : متاع الوحش ! انه متاع الوحش ! أمرغريب..

ادوار (**بنفس الطريقة**) : أى نعم .. بحقى ، لا يمكن أن ننفى ذلك .. هذا صحيح .

بيرانجيه : وكيف يوجد فى حقيبتك ؟

ادوار : حقا أنا .. ماذا تريد أن اقول ؟.. هناك أمور يستعصى على الانسان شرحها .. هل أستطيع أن أعيد الأشياء الى مكانها ؟

بيرانجيه : ربما ، نعم ، على كل حال .. فيم عساها تنفعنا ؟ (**يشرع في مساعدة ادوار على ملء الحقيبة بالأشياء التى أخرجها منها ، ثم ، فجأة ، فى اللحظة التى يهم فيها بأن يضع فى الحقيبة العلبة الأخيرة التى لم يفحصها ، تنفك العلبة ، وتتناثر منها أمامنا على المائدة أوراق شتى ، وكذلك عشرات من البطاقات . ويجرى كل هذا بأسلوب الحاوى**) . أنظر ، هذه بطاقات !

ادوار : نعم . بطاقات .. فى الواقع ، شىء غريب .. يا للعجب !

بيرانجيه (وهو يفحص البطاقات) : لابد أن هذا هو اسمه .

ادوار : اسم من ؟

بيرانجيه : اسم المجرم ، يا أخى ، اسم المجرم !

ادوار : هل تظن ؟

بيرانجيه : هذا شىء فى نظرى لا يقبل الجدل .

ادوار : حقا ؟ لماذا ؟

بيرانجيه : ألا ترى بوضوح ؟ فان جميع البطاقات تحمل نفس الاسم . انظر ، اقرأ ! (**يمد البطاقات الى ادوار .**)

ادوار (وهو يقرأ الاسم المكتوب على البطاقات .) : بالفعل .. نفس الاسم .. على كل منها نفس الاسم .. هذا صحيح !

بيرانجيه : آه .. لكن .. الأمر يزداد غرابة ، ياعزيزى ادوار ، نعم (**ينظر اليه**) . يزداد غرابة !

ادوار : هل تظن أن ..

بيرانجيه (وهو يخرج من العلبة الأشياء التى يذكرها) : وهاهو ذا عنوانه .. (**يسعل ادوار سعالا خفيفا ، ينم عن شىء من القلق .**) وبطاقته الشخصية .. وصورته !.. انه هو .. ان صورته الشخصية مدبسة مع صورة

الكولونيل ! (**باضطراب متزايد**) وقائمة بها .. بها .. أسماء جميع الضحايا .. وعناوينهم !.. سنقبض عليه يا ادوار ، سنقبض عليه !

ادوار (وهو يخرج – لا ندرى من أين – صندوقا صغيرا ، لعله يخرجه من جيبه ، أو من أحد كميه ، كما يفعل الحاوى . ويمكن أن يكون الشىء الذى يخرجه علبة مسطحة ، تتخذ شكل المكعب عندما يظهرها) : يوجد هذا أيضا .

بيرانجيه (بانفعال) : أرنى ، بسرعة ! (**يفتح الصندوق الصغير ، ويخرج منه أوراقا أخرى ، ينشرها على المائدة .**) دفتر .. (**يتصفحه .**) « ١٣ يناير : اليوم سأقتل .. ١٤ يناير : ألقيت ، مساء أمس ، فى الحوض ، امرأة عجوزا ، كان لها منظار فى حلقتين من الذهب .. » انها يومياته الخاصة ! (**يطوى الصفحات لاهثا ، بينما تلوح على ادوار علائم الحرج .**) « ٢٣ يناير : لا يوجد ما أقتله اليوم . ٢٥ يناير : لايوجد ما أضيفه اليوم أيضا !.. »

ادوار (فى وجل) : ألسنا نتطفل على أسرار ؟

بيرانجيه (يواصل القراءة) : « ٢٦ يناير : مساء أمس ، بعد أن فقدت الأمل واشتد بى الضيق ، تمكنت من دفع شخصين الى الاطلاع ، قرب الحوض ، على صورة الكولونيل .. فبراير : غدا ، أظن أننى أستطيع أن أدفع فتاة شقراء ، بدأت محاولاتى معها منذ مدة ، الى النظر لصورة الكولونيل .. » آه ، انما تلك هى « دانى » ، التعسة ، خطيبتى .

ادوار : هذا يبدو لى من المحتمل .

بيرانجيه (وما زال يقلب صفحات الدفتر) : بل انظر ، يا ادوار ، انظر ، انه شىء لا يصدقه العقل ..

ادوار (وهو يقرأ من فوق كتف بيرانجيه) : علم جنائى. هل لهذا معنى ؟

بيرانجيه : هذا يعنى : بحث فى الجريمة .. ان لدينا هنا مبادئه ، نظريته .. وهاهو ذا الكلام ، أترى ؟ اقرأ اذن ..

ادوار (بنفس الطريقة ، يقرأ) : اعترافات مفصلة .

بيرانجيه : لقد أمسكنا به ، ذلك البائس !

ادوار (بنفس الطريقة ، يقرأ) : مشروعات المستقبل . خطة العمل .

بيرانجيه : دانى ، يا حبيبتى ، سوف يؤخذ بثأرك ! **(الى ادوار .)** عندك هنا كل الأدلة . اننا نستطيع تدبير القبض عليه . هل تدرك ذلك ؟

ادوار (متلعثما) : لم أكن أعرف .. لم أكن أعرف ..

بيرانجيه : لقد كان فى مقدورك أن تنقذ نفوس كل أولئك الناس !

ادوار (بنفس اللهجة) : نعم .. أتبين ذلك . انى فى غاية الخجل . لم أكن أعرف . انى لا أعرف ابدا ماعندى ، فانا لا انظر فى حقيبتى .

بيرانجيه : هذا اهمال معيب .

ادوار : حقا ، انى أعتذر عنه ، انى آسف .

بيرانجيه : ولكن ، مهما يكن ، فان هذه الأشياء لم تدخل وحدها فى قلب الحقيبة . لقد وجدتها أنت ، لقد تسلمتها .

ادوار (وهو يسعل ، ويجفف جبهته ، ويترنح) : .. انا خجلان .. لا أستطيع أن أشرح لنفسى .. لا أفهم .. أنا ..

بيرانجيه : لا تحمر خجلا . انك تثير شفقتى عليك ، يا عزيزى . هل تدرك أنك أنت — جزئيا — مسئول عن اغتيال « دانى » ؟ .. وعن كثيرين غيرها !

ادوار : اغفر لى .. فما كنت أعرف .

بيرانجيه : والآن ماذا بقى علينا أن نفعل ؟ **(زفرة ضخمة)** لا ينفع ، للأسف ، التحسر على ماسلف . أن ندمك لايجدى .

ادوار : أنت على حق ، أنت على حق ، أنت على حق . **(ثم يتذكر فى عناء)** آه ، نعم ، انى أتذكر الآن . تلك واقعة طريفة ، أعنى لا ، تلك واقعة غير طريفة . فلقد ارسل لى المجرم يومياته الخاصة ، مذكراته ، وبياناته ، منذ وقت طويل ، راجيا منى أن أنشرها فى مجلة أدبية . كان ذلك قبل قيامه بعمليات القتل .

بيرانجيه : ولكنه قد سجل الأفعـــال التى أتمهـــا . وبالتفصيل . انه أشبه بمحضر يثبت كل ما جرى .

ادوار : لا ، لا . فى ذلك الوقت ، كانت مجرد تكهنات .. تكهنات خيالية . ولقد غاب عن ذهنى تماما كل هذا . وأظن أنه هو نفسه ما كان يظن أنه سينفذ جميع هذه الجرائم . لقد جرفه خياله . ولابد أنه لم يفكر فى تحويل مشروعاته الى أفعال الا فيما بعد . أما أنا ، فقد اعتبرت هذا أحلاما لا تؤدى الى نتيجة ..

بيرانجيه (رافعا يديه نحو السماء) : يالك من ساذج !

ادوار (مواصلا حديثه) : .. شيئا مثل روايات القتل ، مثل الشعر ، مثل الأدب ..

بيرانجيه : ان الأدب يؤدى الى كل شىء . أما كنت تعرف ذلك ؟

ادوار : لا يمكننا أن نمنع الـكتاب من أن يكتبـوا ، ولا الشعراء من أن يحلموا .

بيرانجيه : كان ينبغى .

ادوار : يؤسفنى أننى لم أفكر فى المسألة ، وأننى لم أقرن بين هذه الأوراق وبين الأحداث ..

(أثنـاء حوارهما ، يبـدأ بيرانجيه وادوار فى جمع الأشياء واعادة وضعها فى الحقيبه بقدر المستطاع ، وقد تناثرت على المائدة ، وعلى الأرض ، وعلى قطع الأثاث الأخرى) .

بيرانجيه (وهو منهمك فى وضع الأشياء داخل الحقيبة) : والعلاقة مع ذلك انما هى العلاقة بين النية والتنفيذ ، لا أكثر ولا اقل ، هذا واضح وضوح النهار ..

ادوار (يخرج من جيبه مظروفا كبيرا) : ويوجد هذا أيضا ! .

بيرانجيه : ما هذا ؟ **(يفتحان المظروف)** آه ، انها خريطة ، رسم تخطيطى .. وهذه العلامات التى على الرسم ، ماذا تعنى ؟

ادوار : أظن أنها .. نعم نعم .. انها الأماكن التى لابد يتواجد فيها السفاح ..

بيرانجيه (وهو يفحص الخريطة المبسوطة على المائدة) : وهذا ؟ الساعة التاسعة والربع ، الساعة الواحدة وسبع وعشرون دقيقة ، الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة ، الساعة السادسة وثلاث دقائق ..

ادوار : هذا جدوله ، فيما يبدو . قد حدده مقدما . مكانا مكانا ، ساعة ساعة ، دقيقة دقيقة .

بيرانجيه : الساعة الحادية عشرة ، وتسع دقائق ، وثانيتان ..

ادوار : ثانية ثانية . انه لا يضيع وقته **(قال ذلك فى خليط من الاعجاب واللا مبالاة .)**

بيرانجيه : فلا نضيع وقتنا نحن أيضا . الأمر بسيط . لنبلغ الشرطة . لا يبقى بعد ذلك الا أن يلتقطوه . ولكن علينا أن نسرع ، فمكاتب المحافظة تغلق أبوابها قبل الليل .

اذا تأخرنا، لن نجـد هناك أحدا . ومن هنا للصباح ، قـد يستطيع أن يغير خطته . هيـا بسرعة نقابل المهنـدس ؛ المأمور .

ادوار : لقد صرت رجل عمل . أما أنا ..

بيرانجيه (مواصلا كلامه) : ولنطلعه على الأدلة !

ادوار (فى فتور) : لا مانع عندى .

بيرانجيه (منفعلا) : اذن ، هيا بنا . ليس لدينا ثانية واحدة نضيعها ! فلننجز وضع هذه الاشياء .. **(يكدسان الأشياء حيثما يستطيعان ان يجدا لها مكانا ، فى الحقيبة الضخمة ، فى جيوبهما ، فى بطانة كل من القميصين .)** لا ينبغى أن ننسى ورقة من هذه الوثائق .. بسرعة .

ادوار (وقد ازداد فتورا) : طبعا ، طبعا .

بيرانجيه (وهو ينتهى من ملء الحقيبة ، ولعل بعض البطاقات وبعض الأشياء مازالت هناك على الأرض ، وعلى المائدة ..) : بسرعة ، لا تنم ، بسرعة،بسرعة . تلزمنا جميع الادلة .. هيا ، اقفلها الآن باحكام .. اقفلها بالمفتـاح .. **(يؤدى هذا التعجل بادوار الى شىء من الاضطراب فلا يفلح ــ بمفتاحه الصغير ــ فى اغلاق الحقيبة ، يتوقف ريثما يسعل .)** بدورتى المفتاح !.. ليس هذا وقت السعال ! **(يحاول ادوار أن يكتم سعاله ، وهو يواصل نفس الحركات .)** آه ، يالك من خائب ، ليس لديك أى قوة فى أصابعـك . شيئا من الحياة ، يا أخى ، شيئا من الحياة !.. هيا تحرك . آه ! أعطنى هذا .. **(يأخذ من يدى ادوار المفتاح الصغير والحقيبة)**

ادوار : اعذرنى ، انى حقا لست ماهر اليدين ..

بيرانجيه : هـذه حقيبتك ، وانت لا تعـرف حتى كيف تقفلهـا .. دع لى المفتاح ، يا أخى . **(ينتزع ــ بعنف ــ**

المفتاح من يدى ادوار الذى كان قد استعاده منه .)

ادوار : خذه ، هاهو ذا ، امسك .

بيرانجيه (يغلق الحقيبة) : كيف يخطر لك أن تقفلها بلا مفتاح ؟ انتهينا . احتفظ به ..

ادوار : شكرا .

بيرانجيه : ضعه فى جيبك . والا فسوف تفقده . (ادوار يطيع أمره .) هو ذاك . هيا بنا .. (ادوار يتناول الحقيبة . بيرانجيه يتجه نحو الباب ، يتبعه ادوار كارها ، يلتفت بيرانجيه الى ادوار .) لا تدع النور موقدا ، اطفىء من فضلك . (ادوار يستدير . يذهب لاطفاء النور . لكى يقوم بذلك ، يدع الحقيبة ، ثم ينساها بجوار الكرسى . ينبغى ان يجرى هذا بكل وضوح .) هيا بنا .. هيا بنا .. تحرك .. تحرك ..

(يخرجان بسرعة عادية . يسمع صوت الباب وهو ينفتح ثم يعاد اغلاقه صفقا . يسمع وقع أقدامهما فى مدخل البيت . ونراهما فى الشارع ، بينما تبلغ سمعنا من جديد جلبة المدينة . وفى اهراعهما يصطدمان بالبوابة التى نراها امام النافذة . بيرانجيه يجر ادوار من يده .)

البوابة (بعد ان اصطدما بها ، بينما يتوارى بيرانجيه وادوار .) : شىء عجيب ! (تلفظ باقى العبارة بطريقة غير مفهومة .)

(ستار)

الفصل الثالث

المنظر

مكان أشبه بشارع كبير على هامش المدينة. في مؤخرة المنظر، الأفق مسدود، ففي هذا الموضع يبدو أن الشارع يصعد، نحو الجانب الذى لا نراه . وهذا الجزء المرتفع، ينبسط بضعة أمتار، ويحيط به سياج . وفي ناحيــة المسرح التى يمكن أن يلمحها الناظر من القاعة، يؤدى سـلم يحيط به سياج كذلك، الى رصيف الطريق العلوى . وتلك الدرجات الحجرية القلبلة ينبغى أن تشبه ما يوجد مثلهــا فى بعض شوارع باريس القديمة، كشارع « جان دى بوفيــه » . وفيما بعد، تظهر فى المؤخرة، الشمس الغاربة، حمراء، ضخمة، ولكن بلا ضياء . الاضاءة لا تصدر عن الشمس . وهكذا يقوم، فى المؤخرة، ما يشبه جدارا يتراوح ارتفاعه بين متر ونصف ومترين، حسب ارتفاع خشبة المسرح . وفى الجزء الثانى من هذا الفصل، ينبغى أن ينزاح هــذا الجدار، مسفرا عن منظر يمتد مع البصر، وهو منظر شارع طويل، فى أقصاه بعض المبانى، فهناك مبنى المحــافظة . ويمكن أن تكون خشبة المسرح منحدرة، وفى هذه الحال، لا حاجة الى السلم .

الى يمين خشبة المسرح، فى المقدمة، مقعد صغير . قبل رفع الستارة، يسمع هتاف يتردد : « عاش اوز أم بيب ! عاش اوز أم بيب ! »

ترتفع الستارة .

عند رفع الستارة، نرى فى مؤخرة المسرح، على الجزء المرتفع، جذع أم بيب، وقد احتجب نصف جسمها الأدنى وراء الجدار الحاجز . انها امرأة من نسوة الشعب بدينة، تشبه البوابة التى ظهرت فى الفصل السابق . وهى تخطب فى جمهور لا نبصره، بل نبصر علمين أو ثلاثة أعلام تحمل فى

وسطها صورة اوزة . وتتجلى الأوزة البيضاء على صفحة الأعلام الخضراء .

أم بيب (وهى تحمل كذلك علما أخضر فى وسطه أوزة .) : أيها الشعب ! أما أنا ، التى اربى اوزا عموميا ، فان لى خبرة طويلة بالحياة السياسية . اعهدوا لى بعربة الدولة التى سوف أوجهها وسوف يجرها اوزى . امنحونى ثقتكم ، انى أنا واوزى نطلب الحكم .

(هتافات من الجمهور . الاعلام تهتز : ((نحيا أم بيب! يحيا أوز أم بيب !)) . يدخل بيرانجيه من الناحية اليمنى ، يتبعه ادوار . ادوار يلهث . بيرانجيه يجره وراءه ، وهو يجذبه من كمه . وهكذا يعبران خشبة المسرح ، من اليمين الى اليسار ، ومن اليسار الى اليمين . عندما يتكلم ادوار وبيرانجيه ، لا يسمع كلام أم بيب ، وانما نراها تلوح وتفتح فمها الى أقصاه ، بينما تنشىء هتافات الجمهور الخفى مجرد بطانة خافتة . على أن خطبة أم بيب والاصوات الصاخبة تسمع من جديد — طبعا — فى فجوات الحوار بين ادوار وبيرانجيه)

بيرانجيه : هيا بنا ، أسرع ، أسرع اذن .. ابذل مجهودا صغيرا آخر . انها هناك ، فى آخر الشارع . **(يشير باصبعه)** . هناك ، مبانى المحافظة ، يجب أن نصل فى الموعد ، قبل انصراف الموظفين ، بعد نصف ساعة سيفوت الأوان . ولن يكون هناك المهندس ، أعنى المأمور . لقد قلت لك لماذا لا يمكن أن ننتظر الى غد . فمن هنا الى غد ، فى مقدور القاتل أن يلوذ بالفرار .. أو أن يمتك بمزيد من الضحايا ! لابد أنه يحس بأننى أتعقبه .

ادوار (لاهثا ، ولكن بأدب) : ثانية من فضلك ، لقد جعلتنى أجرى بسرعة فائقة

أم بيب : أيها المواطنون والمواطنات ..
بيرانجيه : هيا بنا ، هيا بنا ..
ادوار : دعنى أسترح ... لست أقوى على الحركة .
أم بيب : أيها المواطنون والمواطنات ..
ادوار : لست أقوى .
بيرانجيه : طيب . خذ لك ثانية واحدة ، لا أكثر . **(يظل واقفا ، بجوار المقعد .)** انظر ، ما هذا التجمع ؟
ادوار : حفل انتخابى .
أم بيب : أيدونا بأصواتكم ! أيدونا بأصواتكم !
بيرانجيه : يخيل الى انها بوابة منزلى .
ادوار : انك واهم . هذا زعيم سياسى ، أم بيب مربية الأوز . شخصية قوية .
بيرانجيه : يبدو لى أننى أعرف هذا الاسم . ولكن لا وقت عندى لسماعها .
ادوار (الى بيرانجيه) : اجلس لحظة ، انك متعب .
أم بيب : أيها الشعب ، انك مخدوع . وسوف ينقشع خداعك .
بيرانجيه (الى ادوار) : لا وقت عندى للتعب .
صوت الجمهور : يسقط الخداع ! يحيا اوز أم بيب !
ادوار (الى بيرانجيه) : آسف . ثانية واحدة . لقد قلت : ثانية واحدة .
أم بيب : لقد ربيت من أجلكم سربا بأكمله من كشافى الخداع . لسوف يكشفون خداعكم . ولكن لابد دون كشف الخداع من الخداع . لابد لنا من خداع جديد .
بيرانجيه : لا وقت لدينا ، لا وقت لدينا !
صوت الجمهور : يحيا خداع كشافى الخداع .
بيرانجيه : ليس لدينا لحظة واحدة نضيعها ! **(يجلس رغم ذلك وهو ينظر الى ساعته .)** الوقت يمرّ .

صوت الجمهور : يحيا الخداع الجديد !

بيرانجيه (الى ادوار) : هيا بنا .

ادوار (الى بيرانجيه) : لا تقلق . ان الساعة تشير الى ما كانت تشير اليه منذ وهلة ، كما ترى .

أم بيب : انى أعدكم بتغيير كل شيء . وفى سبيل تغيير كل شيء ينبغى الا يتغير أى شيء . فالأسماء هى التى نغيرها ، لا الأشياء . ان أساليب الخداع القديمة لم تصمد للتحليل النفسى ، والتحليل الاجتماعى .. وأما الخداع الجديد ، فسيصمد لكل هجوم . لن يكون هناك الا حالات من سوء التفاهم . لسوف نتقن الكذب .

بيرانجيه (الى ادوار) : لنمض .

ادوار : اذا شئت .

بيرانجيه (وهو يرى أن ادوار — الذى ينهض فى عناء — ليست معه حقيبته) : أين حقيبتك ؟

ادوار : حقيبتى ؟ أية حقيبة ؟ آه ، نعم ، حقيبتى . لابد أنها على المقعد . (**يلقى نظرة على المقعد .**) لا . انها ليست على المقعد .

بيرانجيه : هذا شيء غريب ! انها دائما معك !

ادوار : ربما كانت تحت المقعد .

أم بيب : لسوف نزيل عن الانســـانية مما تعانى من انفصالية !

بيرانجيه (الى ادوار) : فابحث عنها ، ابحث عنها اذن . (**يأخذان فى البحث عن الحقيبة ، تحت المقعد ، ثم على خشبة المسرح ، فى الأرض .**)

أم بيب (الى الجمهور) : ولشفاء الانسانية من الانفصالية ينبغى بث الانفصالية فى كل انسان بصفة شخصية .. وسوف تنالون الوجبة الشعبية !

صوت الجمهور : سننال الوجبة الشعبية واوز أم بيب

بيرانجيه (الى ادوار) : ابحث معى ، بسرعة . ترى أين تركتها ؟

أم بيب (الى الجمهور ، بينما بيرانجيه وادوار يبحثان عن الحقيبة ، بيرانجيه فى حرارة المحموم ، وادوار متراخيا): لن نضطهد ، بل سوف نعاقب وسوف ننصف . لن نستعمر الشعوب ، بل سوف نحتلها لكى نحررها . لن نستغل البشر ، بل سوف ندفعهم الى الانتاج . والعمل الاجبارى سوف يسمى عملا اختياريا . والحرب سوف تسمى السلام ، وكل شىء سوف يتغير ، بفضلى أنا وبفضل اوزى .

بيرانجيه (وهو لا يزال يبحث) : شىء لا يتصوره العقل ، شىء لا يتصوره العقل ، أين تراها قد ذهبت ؟ ارجو الا تكون قد سرقت . والا فهى كارثة ، فهى كارثة !

صوت الجمهور : عاش اوز أم بيب ! عاشت الوجبة الشعبية !

أم بيب : وبعد اصلاح الطغيان ، سوف يسمى نظاما وحرية . ان شقاء جميع الناس فيه سعادة الانسانية !

بيرانجيه : انك لاتدرك ، انما هى كارثة ، فنحن لاتستطيع أن نفعل أي شىء دون الأدلة التى جمعناها ، دون الوثائق . ن يصدقنا أحد .

ادوار (الى بيرانجيه ، متراخيا) : لا تقلق بالك ، سوف نجدها . فلنبحث فى هدوء . ان الهدوء هو كل ما يلزمنا .

(يستأنفان البحث .)

أم بيب (الى الجمهور) : سوف تكون وسائلنا أكثر من علمية ، سوف تكون « فوق علمية » ! سوف نقيم حججنا على الغضب والحمية . وسوف تنالون الوجبة الشعبية !

صوت الجمهور : عاشت أم بيب ! عاش الاوز ! عاش الاوز !

صوت ينطلق من الجمهور : بفضل أم بيب ، سوف تشتفى

من الانفصالية .

أم بيب : والموضوعية موضوعية ذاتية فى عهد النظرية « فوق العلمية » .

بيرانجيه (وهو يلوى يديه ، الى ادوار) : هذه فعلة من تدبير المجرم .

ادوار (الى بيرانجيه) : طريف ما تقوله أم بيب !

صوت الجمهور : تحيا أم بيب !

بيرانجيه (الى ادوار) : انى أقول لك انها فعلة دبرها المجرم .

ادوار (الى بيرانجيه) : هل تظن ؟ **(يظهر من الناحية اليسرى ، حاملا حقيبة فى يده ، رجل سكران الى أقصى درجة ، يرتدى حلة سوداء « فراك » وعلى رأسه قبعة مرتفعة .)**

الرجل : انى .. (**شهقة**) انى من أنصار (**شهقة**) .. رد الشرف للبطل .

بيرانجيه (وقد لمح الرجل) : هاهى ذى الحقيبة ! انها معه . **(يتجه نحو الرجل .)**

ادوار : عاشت أم بيب !

بيرانجيه (الى الرجل) : أين وجدت هذه الحقيبة ؟ أعد الى الحقيبة .

الرجل : هل تعارض فى رد الشرف للبطل ؟

أم بيب (الى الجمهور) : وأما عن المثقفين ..

بيرانجيه (محاولا أن ينتزع الحقيبة من يدى الرجل) : أيها اللص !.. دع هذه الحقيبة !

أم بيب (الى الجمهور) : فسوف تدفعهم الى السير بخطوة الاوزة ! عاش الاوز !

الرجل (بين شهقة وشهقة ، متشبثا بالحقيبة) : انا لم

أسرقها . انها حقيبتى .

صوت الجمهور : عاش الاوز !

بيرانجيه (الى الرجل) : من أين أتيت بها ؟ من أين اشتريتها ؟

الرجل (يهزه بيرانجيه ، وتنتابه الشهقة . الى ادوار) : هل تتعرف فيها حقا حقيبتك ؟

ادوار : يخيل لى .. فيما يبدو .

بيرانجيه : اذن أعدها لى .

الرجل : انى من انصار البطل .

بيرانجيه (الى ادوار) : ساعدنى ! **(بيرانجيه يجاهد الرجل .)**

ادوار : طبعا . **(يقترب من الرجل ولكنه يترك بيرانجيه يقاومه وحده . وينظر ناحية أم بيب .)**

أم بيب : وعندما نكشف الخديعة المخدوعة منذ عهد طويل ، لن يسع المثقفين الا أن يحلوا عنا .

صوت الجمهور : عاشت أم بيب !

الرجل : انى أقول لك انها حقيبتى .

أم بيب : سوف يكونون أغبياء ، وبالتالى أذكياء . سوف يكونون جبناء ، أى شجعانا . مبصرين ، أى عميانا .

ادوار وصوت الجمهور : عاشت أم بيب !

بيرانجيه (الى ادوار) : ليس هذا وقت التفرج . دع أم بيب .

ادوار (الى الرجل ، بفتور) : أعد اليه الحقيبة والا فقل من أين اشتريتها .

الرجل (شهقة) : اننا فى حاجة الى أبطال !

بيرانجيه (الى الرجل ، بعد أن افلح اخيرا فى انتزاع الحقيبة) : ماذا فى داخلها ؟

الرجل : لا أدرى ، أوراق .
بيرانجيه (وهو يفتح الحقيبة) : أخيرا يا سكير !
ادوار (الى الرجل) : وماذا تعنى بكلمة بطل ؟
أم بيبب : سوف نخطو خطواته الى الوراء ، وسوف تكون فى طليعة التاريخ !
الرجل (بينما يشبش بيرانجيه فى الحقيبة ويلقى عليها ادوار — من فوق كتف بيرانجيه — نظرة شاردة) : بطل ؟ انه الذى يجرؤ على التفكير عكس التاريخ ويثور ضد عصره. **(بصوت مرتفع)** تسقط أم بيبب !.
بيرانجيه (الى الرجل) : انك فى غاية السكر !
الرجل : البطل يحارب عصره ، ويخلق عصرا آخر .
بيرانجيه (وهو يخرج زجاجات خمر من حقيبة الرجل) : زجاجات خمر !
الرجل : نصانها فارغ ! هذه ليست جريمة !
أم بيبب : لأن التاريخ على حق !
الرجل (وقد دفعه بيرانجيه ، يصيح وهو يترنح ثم يسقط مقعيا على الأرض) : نعم .. عندما ينحرف الحق ..
بيرانجيه : وهل انت على حق ، أنت ، فى أن تسكر كما تفعل ؟ **(الى ادوار)** وأين حقيبتك اذن ؟
الرجل : اما قلت لك انها حقيبتى ؟ تسقط أم بيبب !
ادوار (وما زال غير مهتم وجامدا) : كيف اعرف ؟ اننى ابحث عنها ، كما ترى .
صوت الجمهور : عاشت أم بيبب ! عاش اوز أم بيبب ! انها تغير كل شىء ، ولا تغير اى شىء . انها تغير كل شىء ، ولا تغير اى شىء **(هتاف موزون التوقيع .)**
برانجيه (الى ادوار) : انت بلا عذر !
الرجل (وهو ينهض مترنحا) : تسقط أم بيبب !

ادوار (الى بيرانجيه ، متباكيا) : أوه ، اتشتمني ؟ انني مريض .

بيرانجيه (الى ادوار) : اعذرني ، انا لا اقصد . افهم حالي ..

(في هذه اللحظة ، يدخل من الناحية اليمنى شيخ قصير القامة ، ذو لحية صغيرة بيضاء ، يبدو عليه الوجل ، وهو رث الثياب ، يمسك باحدى يديه مظلة واقية من المطر وبالأخرى حقيبة ضخمة سوداء ، مثل التي كانت مع ادوار في الفصل الثاني)

الرجل (مشيرا الى الشيخ) : هاهي ذي حقيبتك ! ربما كانت هي . **(يندفع بيرانجيه نحو الشيخ .)**

أم بيب : اذا كانت الايديولوجية لا تنطبق على الواقع ، فاننا سنبرهن على انها تنطبق ، وسيكون هذا تمام المنطق . سوف يؤيدنا المثقفون الصالحون . وضد الأساطير ، سوف يجعلون منكم خير العقاقير . وسوف نستبدل بالأساطير ..

بيرانجيه (الى الشيخ) : عفوا ، يا سيدي .

أم بيب : .. شعارات !.. وأفكارا جديدة موروثة !

الشيخ (وهو يحيي بقبعته) : عفوا ، يا سيدي ، اين يوجد شارع « الدانوب » من فضلك ؟

الرجل (الى الشيخ) : هل أنت من أنصار البطل ؟

بيرانجيه (الى الشيخ) : ان حقيبتك تشبه حقيبة صديقي **(يشير اليه باصبعه)** السيد ادوار .

ادوار (الى الشيخ) : اتشرف بمعرفتك .

صوت الجمهور : عاشت أم بيب !

الشيخ (الى ادوار) : شارع الدانوب « من فضلك .

بيرانجيه : دع عنك شارع الدانوب .

الشيخ : لا أقصد شارع الدانوب . **الدانوب تقضة .**

الرجل : ولكننا فى باريس .
الشيخ (الى الرجل) : أعرف هذا . انا نفسى باريسى .
بيرانجيه (الى الشيخ) : انما المقصود هو الحقيبه !
الرجل (الى الشيخ) : هو يريد أن يرى مافى حقيبتك .
الشيخ : هذا لا يعنى أحدا . أنا نفسى لا اعرف مافيها . فانى لا اتطفل على نفسى ..
بيرانجيه : بالرضا أو بالاكراه ، عليك ان ترينا ..
(بيرانجيه ، والرجل ، حتى ادوار ، يحاولون نزع الحقيبة من يدى الشيخ الذى يدافع ، وهو يحتج .)
الشيخ (متخبطا) : لن اسمح !
أم بيب : لن يكون هناك مستغلون . وسوف أقوم انا واوزى ..

(الجميع يندفعون ويهجمون على الشيخ محاولين أن يأخذوا الحقيبة : يفلح الرجل فى الفوز بالحقيبة أولا ، ولكن الشيخ ينتزعها من يدى الرجل ، ثم يستولى عليها ادوار ولكن الشيخ يستعيدها من يدى ادوار . ويمكن تعقيد المشهد باستخدام حقيبة الرجل ايضا ، وتوهم انها حقيبة الشيخ ، واظهار خيبة الأمل عند الوقوف على الزجاجات ، الخ)

بيرانجيه (الى ادوار) : يا أبله ! **(يستولى بيرانجيه على الحقيبة ، يأخذها الشيخ مرة أخرى ، ويتلقفها الرجل من يدى الشيخ .)**
الرجل (يمدها نحو ادوار) : هاهى ذى . **(الشيخ يختطفها من جديد ، ويهم بالفرار ، يمسكون به ، الخ . أثناء هذا المشهد كله تواصل أم بيب خطبتها .)**
أم بيب : .. انا واوزى بتوزيع الأملاك العامة . سوف نوزع بالإنصاف . فسوف أحتفظ بنصيب الاسد لى انا

كاوزى ..

صوت الجمهور : يحيا الاوز !

أم بيب : .. وذلك لتدعيم الاوز حتى يتمكن من أن يجر بمزيد من القوة عربات الدولة .

صوت الجمهور : نصيب الأسد للاوز ! نصيب الاسد للاوز !

الرجل (يصرخ فى اتجاه أم بيب) : وحرية النقد !

أم بيب : وسنمشى جميعا بخطوة الاوزة .

صوت الجمهور : بخطوة الاوزة ، بخطوة الاوزة .

(يسمع وقع سير منتظم ، والجمهور الذى يصيح : ((بخطوة الاوزه ، بخطوة الاوزة)) . فى هذه الاثناء يفلح الشيخ فى الفرار ومعه حقيبته . يخرج من ناحية المسرح اليسرى ، يتبعه بيرانجيه . ادوار ، الذى يتظاهر بانه يتبع بيرانجيه والشيخ ، لا يلبث حتى يعود أدراجه ويستلقى على المقعد وهو يسعل سعالا خفيفا . الرجل السكران يتجه نحوه)

الرجل (الى ادوار) : ليست الأحوال على ما يرام ! اشرب كأسا . **(يهم بأن يقدم اليه خمرا من زجاجة فرغ نصفها .)**

ادوار (متمنعا) : لا ، شكرا .

الرجل : بلى ، بلى ، هذا مفيد . هذا ينشط .

ادوار : لا أريد أن أنشط .

(الرجل يرغم ادوار على الشرب ، غير انه يواصل الامتناع . يسقط شىء من الخمر على الأرض ، وقد تسقط الزجاجة ايضا وتنكسر . لا يزال الرجل يحاول ان يدفع ادوار الى الشرب ، وهو يخاطب فى الوقت نفسه أم بيب)

الرجل (وهو سكران جدا) : لقد فعل العلم والفن

اكثر بكثير مما فعلت السياسة لتغيير عقلية الناس . ان الثورة الحقيقية تحدث فى معامل العلماء ، وفى مدارس الفنانين . أينشتاين ، أوبنهايمر ، بريتون ، كاندينسكى ، بيكاسو ، بافلوف ، أولئك هم المجددون الحقيقيون . انهم يوسعون مجال معارفنا ، يجددون نظرتنا الى العالم ، يطورونا . وعما قريب ، سوف تتيح وسائل الانتاج لجميع الناس أن يعيشوا . سوف تنحل المشكلة الاقتصادية من تلقاء نفسها . انما الثورات العامة أحقاد تنفجر بطريقة خرقاء . **(يتناول زجاجة خمر اخرى من حقيبته ويشرب منها جرعة كبيرة .)** أن البنسلين ومكافحة شرب الخمر اقوى أثرا من تغيير الحكومات .

أم بيب (الى الرجل) : يا قذر ! يا سكير ! يا عدو الشعب! يا عدو التاريخ ! **(الى الجمهور)** انى افضح أمامكم السكير، عدو التاريخ .

صوت الجمهور : يسقط عدو التاريخ ! فلنقتل عدو التاريخ !

ادوار (ناهضا فى عناء) : سوف نموت جميعا . هذا هو الانفصال الوحيد الخطير !

بيرانجيه (يدخل ممسكا فى يده بحقيبة الشيخ) : لايوجد شيء فى الحقيبة !

الشيخ (يتبع بيرانجيه) : ردها لى ، ردها لى !

الرجل : اننى بطل ! اننى بطل ! **(يندفع وهو يترنح نحو مؤخرة المسرح ويصعد درجات السلم ، نحو ام بيب .)** انا لا ارى ما يراه الناس ! وساقول لهم ذلك !

بيرانجيه (الى الشيخ) : هذه ليست حقيبة ادوار ، انى اردها لك لا اعذرنى .

ادوار : لا تذهب الى هناك . ان تفكر عكس ما يفكره

زمانك ، هذا ضرب من البطولة . وأما أن تجهر بذلك ، فضرب من الجنون .

بيرانجيه : هذه ليست حقيبتك . فأين اذن حقيبتك ؟

(فى هذه الأثناء ، بلغ الرجل أعلى السلم ، واقترب من أم بيب .)

أم بيب (تبرز حقيبة ضخمة ، لم تسبق رؤيتها حتى الآن ، وترفعها) : فلتتناقش بحرية ! **(تضرب بحقيبتها رأس الرجل .)** الى ، يا أوزى ! هذا طعام لكم ، يا أوزى !

(يتصاوع الرجل وأم بيب ، ويسقطان من جانب المنصة الآخر . وفى المشهد التالى ، يرى الناظر تارة رأس أم بيب وتارة رأس الرجل ، وأحيانا رأسيهما معا ، وسط صخب هائل . الأصوات تصيح : ((تحيا أم بيب ! يسقط السكير !)) ثم فى نهاية العبارات التالية من الحوار ، وللمرة الأخيرة ، يعود الى الظهور رأس أم بيب وحده ، بشعا . وتقول أم بيب ، قبل أن تتوارى : ((قام اوزى بتصفيته .)) أسلوب مسرح العرائس .)

الدوار : ان العاقل يلوذ بالصمت . **(الى الشيخ)** أليس كذلك ، يا سيدى ؟

بيرانجيه (وهو يلوى يديه) : فأين هى ؟ لابد لنا منها .

الشيخ : أين توجد أرصفة الدانوب ؟ تستطيع أن ترشدنى الآن **(يسوى هندامه ، ويقفل حقيبته الفارغة ، ويستعيد مظلته . عندما ضربت أم بيب الرجل بالحقيبة تركتها تنفتح ، فخرجت منها علب مستطيلة من الورق المقوى سقطت على الأرض .)**

بيرانجيه : انظر ، هاهى ذى يا ادوار حقيبتك ! انها حقيبة أم بيب . **(يلمح العلب التى سقطت .)** وها هى

ذى الأوراق !

ادوار : هل تعتقد ؟

الشيخ (الى ادوار) : انما هو مجنون بالحقائب ، يجرى وراءها جميعـا . عم يبحث ؟ (**بيرانجيه ينحنى ، ويجمع العلب ، ويعود الى مقدمة المسرح ، بجوار ادوار والشيخ ، بادى الأسف .**)

ادوار : انه يريد أن يجد حقيبتى !

بيرانجيه (مشيرا الى الأوراق) : هذه ليست الوثائق . هذه ليست الا أوراق لعبة الأوزة !

ادوار (الى بيرانجيه) : تلك لعبة ممتعة . (**الى الشيخ**) الا ترى ذلك ؟

الشيخ (الى ادوار) : بماذا تشغل نفسك ؟ ان همنا هو الحقيبة .. الحقيبة التى بهـا الوثائق . (**الى الشيخ**) الأدلة ، للقبض على الجانى !

الشيخ : آه ، هو ذاك ، كان عليك أن تخبرنى بذلك من الاول !

(فى هذه اللحظة يظهر للمرة الأخيرة رأس أم بيب التى تلقى العبارة المذكورة آنفا . بعد ذلك مباشرة ، يسمع أزيز محرك سيارة كبيرة ، يطغى على أصوات الجمهور ، وعلى أصوات الأشخاص الثلاثة الموجودين على خشبة المسرح ، والذين يتناقشون وتصدر عنهم حركات كثيرة دون أن نسمعهم . يظهر جنـدى من شرطة المدينة ، عملاقى القامة بلا شك ، معه عصـا بيضاء ، ويضرب على رؤوس النـاس المتجمهرين فى الناحية الأخرى من الجدار بحيث لا نراهم)

الشرطى (نرى منه رأسه وجذعه ، وهو يضرب باحدى يديه وينفخ فى صفارة يمسكها بيده الأخرى .) : انصرفوا ،

أيها السادة والسيدات ، انصرفوا ..

(الجمهور يهتف : ((الشرطة ، الشرطة . نحيـــا الشرطة !)) يواصل الشرطى تفريق النـــاس ، بنفس الطريقة ، يخفت صخب الجمهور تدريجيا ثم يتلاشى عن الأسماع . سيارة عسكرية ضخمة ، قادمة من الجهة اليسرى ، تسد النصف الأعلى من خشبة المسرح)

ادوار (فى غير اكتراث) : أنظر ، سيارة عسكرية !

بيرانجيه (الى ادوار) : لا تشغل نفسك بها .

(سيارة عسكرية أخرى ، قادمة من الجهة المقابلة ، تكاد تسد النصف الآخر من مؤخرة المنظر ، ولا تبين منه سوى جزء صغير . أما الشرطى فيظل قائما بين السيارتين ، مرتفعا وراء الجـدار فى مكان أم بيب ، يشرف عليهما من عل)

الشيخ (الى بيرانجيه) : انما كان عليك أن تقـول انك تبحث عن حقيبة صاحبك ، التى بها الأدلة . فأنا أعلم أين هى .

الشرطى (من فوق ، بين السيارتين ، وهو يصفر) : تفرقوا ، تفرقوا .

الشيخ (الى بيرانجيه) : لابد أن صاحبك قد نسيهـــا عندك ، حين خرجتما متعجلين .

بيرانجيه (الى الشيخ) : وكيف تعرف ذلك ؟

ادوار : صحيح ، كان واجبا على أن أفطن لهـذا ! فهل رأيتنا ؟

الشيخ : ابدا . ولكنى أستنتج ذلك ، بكل بساطة .

بيرانجيه (الى ادوار) : يا لك من غافل !

ادوار : اعذرنى .. لقد تعجلنا جدا !

(من السيارة العسكرية ينزل جندى شاب ، وفى يده باقة من زهر القرنفل الأحمر . انه يستخدمهـا

كالروحة . ويمضى فيجلس ـ والباقة فى يده ـ على قمه السيارة ، مدليا رجليه)

بيرانجيه (الى ادوار) : اذهب لاحضارها ، هيئ أسرع واحضرها فى الحال . انك تخرجنى عن أطوارى ! أنا ذاهب اخطر المأمور ، لكى ينتظرنا . تعجل ، واجتهد فى أن تلحق بى بأسرع ما يمكن . المحافظة فى أقصى هذا الشارع . وفى مهمة كهذه ، لاأحب أن أكون وحدى على الطريق . انى غير مرتاح . هل تفهمنى ؟

ادوار : أفهمك ، طبعا ، افهمك . **(الى الشيخ)** شكرا ، يا سيد .

الشيخ (الى بيرانجيه) : هل تسمح بأن تقول لى الآن اين يوجد رصيف الدانوب ؟

بيرانجيه (الى ادوار ، الذى لم يتحرك) : تعجل اذن ، لا تمكث هنا . وعد بسرعة .

ادوار : سمعا .

بيرانجيه (الى الشيخ) : لا أعرف ، يا سيد ، متأسف .

ادوار (يتجه ، بخطى بطيئة جدا ناحية اليمين ، حيث يتوارى ، وهو يقول فى تراخ) : سمعا ، انى أتعجل . انى اتعجل . لحظة . لحظة .

بيرانجيه (الى الشيخ) : ينبغى أن تسأل ، ينبغى ان تسأل ، رجلا من رجال الشرطة .

(عند خروجه ، يكاد يصطدم بشرطى آخر ، يظهر وهو يصفر ويؤدى كذلك اشارات بعصاه البيضاء ويتبغى ان يكون شاهق القامة . ولهذا الغرض ، قد يستحسن أن يستعمل ارجلا خشبية .)

ادوار (وهو يتفادى الشرطى ، الذى لا ينظر اليه) : أوه ! عفوا يا سيدى الشرطى ! **(يتوارى .)**

بيرانجيه (الى الشيخ) : هاهو ذا واحد منهم . تستطيع أن تستفهم .

الشيخ : انه مشغول جدا . هل أجرؤ ؟

بيرانجيه : نعم ، نعم . انه لطيف . **(يتجه بيرانجيه نحو مؤخرة المسرح بعد أن يصيح مرة أخيرة فى اتجاه ادوار)** تعجل ! **(بينما يتجه الشيخ ، فى وجل شديد ، وتردد كبير ، نحو الشرطى الثانى .)**

الشيخ (فى وجل ، الى الشرطى الثانى) : سيدى الشرطى ، سيدى الشرطى !

بيرانجيه (وقد اتجه نحو الجزء الخلفى من المنظر ، ووضع قدما فوق أول درجات السلم) : فلأسرع !

الشرطى الأول (كلامه يتخلل اطلاق صفارته . يصوب الى أسفل ، نحو بيرانجيه ، عصاه البيضاء ، لكى يبتعد) : انصرف ، انصرف .

بيرانجيه : شىء فظيع . لقد انسد الطريق . محال ، محال أن أصل **(يخاطب تارة شرطيا ، وتارة الشرطى الآخر)** من حسن الطالع ، يا رجال الشرطة ، أنكم هنا لتنظيم المرور . أنتم لا تعلمون الى أى حد يعرقلنى هذا الازدحام !

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : معذرة ، يا سيدى الشرطى .

(لكى يخاطب الشرطى ، خلع الشيخ بغاية الاحترام قبعته وحياه بانحناءة كبيرة ، وأما الشرطى فلا يجيب ، وانما يمعن فى تادية حركات بعصاه البيضاء يرد عليها بعصاه البيضاء كذلك الشرطى الذى نراه كالمعلق من وراء الجدار ، هذا الذى لا نبصر سوى جذعه وينفخ فى صفارته بنشاط . بيرانجيه يضطرب فينطلق مرة نحو شرطى ، ثم يتحول نحو الآخر .)

بيرانجيه (الى الشرطى الأول) : هيا تعجل ، فانى فى حاجة الى العبور . المسألة رسالة هامة جدا ، رسالة انقاذ .

الشرطى الأول (يواصل الصفير ، ويلوح بعصاه لبيرانجيه لكى ينصرف) : انصرف !

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : سيدى الشرطى .. **(الى بيرانجيه)** انه لا يجيب . انه مشغول جدا .

بيرانجيه : آه ، هذه السيارات التى لاتريد أن تتحرك من هنا ! **(ينظر الى ساعته)** لحسن الحظ ، أن الساعة تشير الى نفس الوقت . **(الى الشيخ)** اسأله ، عليك بسؤاله ، انه لن يأكلك .

الشيخ (الى الشرطى الثانى الذى مازال يصفر) : سيدى الشرطى ، من فضلك .

الشرطى الثانى (الى الأول) : أبعد السيارات الى الوراء ! **(ضجيج المحركات ولكن السيارات لا تنتقل من مكانها .)** قدمها الى الأمام . **(نفس الضجيج .)**

الجندى (الى بيرانجيه) : لو كنت أعرف المدينة ، لأرشدتك . ولكنى لست من هنا .

بيرانجيه (الى الشيخ) : السيد الشرطى لابد أن يحقق رجاءك . ذلك شرف له . كلمه بصوت أعلى . **(أثناء هذا الوقت ، يواصل الجندى تحريك باقة زهوره الحمراء أمام وجهه كالمروحة .)**

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : معذرة ، يا سيدى الشرطى ، اسمعنى يا سيدى الشرطى .

الشرطى الثانى : ماذا ؟

الشيخ : أود أن أسألك ، يا سيدى الشرطى ، سؤالا متواضعا !

الشرطى (فى صلف) : انتظر ! **(الى الجندى)** لمــــاذا نزلت من سيارتك ، أنت ؟ ايه ؟

الجندى : أنا .. أنا .. لأنها تعطلت !

بيرانجيه (على حدة) : عجبا ، للشرطى صوت المأمور . أيكون هو ؟ **(يقترب منه ليتطلع اليه)** لا . انه ليس طويل القامة هكذا .

الشرطى الثانى (من جديد ، الى الشيخ ، بينما لا يزال الشرطى الآخر ينظم حركة المرور) : وما هو سؤالك ، أنت ؟

بيرانجيه (على حدة) : لا ، ليس هو . ان صوته لم يكن على كل حال فى مثل هذه القسوة .

الشيخ (الى الشرطى الثانى) : رصيف الدانوب ، من فضلك ، انى أعتذر يا سيدى الشرطى .

الشرطى الثانى (جوابه موجه فى آن واحد الى الشيخ ، والى الشرطى الأول ، والى ســـائقين لا نراهما يقـــودان السيارتين : وهذا يثير ، من قبل الجميع ، حركة مضطربة ينبغى أن تكون مضحكة ، السيارتان تتحركان أيضا .) : الى اليسار ! الى اليمين ! رأسا ! الى الوراء ! الى الأمام !

(الشرطى الآخر المنتصب فى أعلى المسرح — والذى لا يظهر منه دائما الا جذعه — يدير رأســـه ويحرك عصاه البيضاء .. الى اليسار ، الى اليمين ، رأسا ، الى الوراء ، الى الامام . ويؤدى نفس الحركات بيرانجيه فى مكانه ، وكذلك يفعل الجندى بباقة الزهور التى فى يده . ويهم الشيخ بالسير نحو السيارة ، ثم نحو اليمين ، ثم رأسا ، ثم الى الوراء ، والى الامام .)

بيرانجيه (على حدة) : كل رجال الشرطة لهم نفس الصوت .

الشيخ (عائدا نحو الشرطي الثاني) : معذرة ، يا سيدي الشرطي ، معذرة ، إن سمعي ثقيل الى حد ما . لم أفهم بشكل واضح ما الجهة التي عينتها لي .. فأين يوجد رصيف الدانوب ، من فضلك ؟

الشرطي الثاني (الى الشيخ) : انك تسخر مني ! لا ، فلعلك ..

بيرانجيه (على حدة) : المأمور كان الطف ..

الشرطي الثاني (الى الشيخ) : اذهب .. غربا .. سواء كنت أصم ، أو أبله .. حل عني !.. **(يطلق الشرطي الثاني صفارته عدة مرات ، ويسرف في الحركة ، بعد أن دفع الشيخ فترنح ، وسقطت منه عصاه .)**

الجندي (ومازال فوق البرج أو على سطح السيارة) : عصاك ، يا سيد !

الشيخ (وهو يلتقط عصاه ، الى الشرطي الثاني) : لا تغضب ، يا حضرة الشرطي ! لا تغضب ! **(انه خائف جدا .)**

الشرطي الثاني (يواصل تنظيم المرور المشلول) : الى اليسار ..

بيرانجيه (الى الشيخ ، بينما تتحرك السيارتان قليلا في الجزء الخلفي من المنظر ، فتوشكان – ذات لحظة – على سحق الشرطي الأول) : ان موقف هذا الشرطي موقف يصدم النفس حقا !

الشرطي الأول : انتبهوا ، يا أوغاد !

بيرانجيه (الى الشيخ) : .. ومع ذلك فمن واجبه أن يكون مؤدبا مع الجمهور !

الشرطي الأول (الى سائقي السيارتين اللذين لا يظهران) : الى اليسار !

الشرطي الثاني (يأمرهما كذلك) : الى اليمين !..

بيرانجيه (الى الشيخ) : لابد أن هذا مسجل في اللائحة !.. **(الى الجندي)** الا تظن ؟

الشرطي الأول (نفس الأمر) : الى اليمين !

الجندي (بلهجة صبيانية جدا) : أنا لا أعرف .. **(يحرك باقته كالمروحة)** أنا ، عندي أزهاري .

بيرانجيه (على حدة) : حينما أقابل رئيسه ، المهندس ، سوف أكلمه في هذا الشأن .

الشرطي الثاني (بنفس طريقته) : رأسا .

الشيخ : لا بأس ، يا سيدي الشرطي ، اعذرني .. **(يخرج من الناحية اليسرى)**

الشرطي الثاني (بنفس طريقته) : الى اليسار ، اليسار !

(بينما يقول الشرطي الثاني بسرعة مطردة ، وبجمود آلي متزايد : ((رأسا ! الى اليسار ! الى اليمين ! رأسا! الى الوراء ! الى الأمام ! الخ .)) ويردد الشرطي الآخر الأوامر بنفس الطريقة ، مديرا رأسه الى اليمين ، والى اليسار ، الخ ، كأنه الدمية .)

بيرانجيه : أظن ، يا حضرة الجندي ، أننا نسرف في الأدب ، ونسرف في الخوف ، ازاء رجال الشرطة . لقد عودناهم عادات سيئة ، والذنب ذنبنا !

الجندي (وهو يمد باقة الزهر الى بيرانجيه الذي اقترب منه وصعد درجة أو درجتين) : أنظر ، كم هي حلوة الرائحة!

بيرانجيه : شكرا ، لا . لست آخذ شيئا منها .

الجندي : انها قرنفل ، أليست كذلك ؟

بيرانجيه : نعم ، ولكن ليست هذه هى المسألة . انما يجب على حتما ان أواصل طريقى . هذه الزحمة ، انها كارثة !

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه ، ثم يمضى نحو الجندى الشاب الذى ابتعد عنه بيرانجيه قليلا) : انصرف !

بيرانجيه (وهو يبتعد عن الشرطى الذى أصدر اليه ذلك الأمر) : هاتان السيارتان تضايقانك أيضا ، يا حضرة الشرطى . هذا واضح على وجهك . وانك على حق .

الشرطى الثانى (الى الأول) : صفر وحدك ؛ لحظة .

(الجندى الأول يواصل تمثيله)

الشرطى الأول : وهو كذلك ! اذهب أنت !

بيرانجيه (الى الشرطى الثانى) : لقد أصبح المرور محالا . وهناك أشياء .. أشياء لا تحتمل الانتظار .

الشرطى الثانى (الى الجندى ، وهو يشير باصبعه الى باقة زهر القرنفل الأحمر التى مازال هذا يحركها فى يده حركة المروحة) : ليس لديك ما تفعله غير اللهو بهذا ؟

الجندى (بأدب) : لا عيب فيما أفعل ، يا حضرة الشرطى، فليس هذا هو الذى يمنع العربات من أن تسير .

الشرطى الثانى : يا وقح ، هذا يعوق المحرك !

(يصفع الجندى ، الذى لا يقول شيئا . والشرطى طويل القامة جدا بحيث لا يحتاج الى صعود الدرج لكى يبلغ الجندى .)

بيرانجيه (على حدة ، فى وسط خشبة المسرح ، مستنكرا): آوه !

الشرطى الثانى (وهو ينتزع الأزهار من يدى الجندى ويلقيها بعيدا ، فى الكواليس) : يا مغفل ! الا تستحى ! اركب سيارتك مع زملائك .

الجندى : حسنا ، يا حضرة الشرطى .

الشرطى الثانى (الى الجندى) : أسرع ، تحرك ، ياحيوان!

بيرانجيه (فى نفس المكان) : لا .. انه يبالغ !

(الجندى وهو يصعد الى سيارته ، بمساعده لكمة يسددها اليه الشرطى الثانى ، وضربة بالعصا يوقعها الشرطى الأول على رأسه)

بيرانجيه (فى نفس الوضع) : لا .. انه يبالغ !

الشرطى الثانى : (الى الجنود الآخرين المفترض وجودهم فى السيارتين ، وربما أمكنت رؤيتهم فى شكل دمى أو صور مرسومة على المقاعد المرسومة كذلك ، فى السيارتين) انتم تعطلون المرور ! أنتم تضايقوننا بسياراتكم !

بيرانجيه (على حدة ، وهو فى نفس المكان) : أنا أعتبر أن البلد بلد ضائع اذا كان للشرطة فيه السبق على الجيش ، واليد الطولى .

الشرطى الثانى (ملتفتا نحو بيرانجيه) : فيم تتدخل ؟ هل هذا شأنك ؟

بيرانجيه : أنا لم أقل شيئا ، يا حضرة الشرطى ، أنا لم أقل شيئا ..

الشرطى الثانى : من السهل تخمين ما يدور فى أمخاخ من هم على شاكلتك !

بيرانجيه : وكيف لك أن تعرف ما ..

الشرطى الثانى : هذا شىء لا يعنيك .. حاول أن تصلح أفكارك الفاسدة .

بيرانجيه (متلعثما) : أبدا ، يا حضرة الشرطى ، انما أنت تخطىء ، معذرة ، ولكن ، أبدا ، أنا لا .. انى لن .. بل بالعكس .

الشرطى الثانى : أولا ، ماذا تفعل هنا ؟ أرنى أوراقك !

بيرانجيه (وهو يبحث فى جيوبه) : نعم نعم ، كما تريد ،

يا حضرة الشرطى .. انه حقك !

الشرطى الثانى (وهو الآن فى وسط خشبة المسرح ، بجوار بيرانجيه ، الذى يبدو الى جانبه — طبعا — صغيرا جدا) : هيا ، بأسرع من هذا . ليس عندى وقت طويل أضيعه !

الشرطى الأول (ومازال فى أعالى المنظر ، بين سيارتى الجنود) : وبعد ، هل تتركنى أسلك المرور وحدى ؟ **(يصفر)** .

الشرطى الثانى (يصيح نحو الأول) : لحظة . أنا الآن أصرف أمر السيد . **(الى بيرانجيه)** بأسرع من هذا . اذن ، هى لا تأتى ، تلك الأوراق ؟

بيرانجيه (وقد وجد الأوراق) : هاهى ذى ، يا حضرة الشرطى ..

الشرطى الثانى (وهو يفحص الأوراق ثم يردها الى بيرانجيه) : تمام .. تمام .. مضبوط !

(الشرطى الأول يصفر ، ويشتد فى التلويح بعصاه البيضاء . ضجيج محركى السيارتين ، وتبتعد كل منهما عن الأخرى قليلا ثم تعودان الى مكانيهما .)

الشرطى الأول (الى الثانى) : لا يهمك . سوف ننساله مع ذلك ، فى المرة القادمة !

بيرانجيه (الى الشرطى الثانى ، وهو يستعيد أوراقه) : شكرا جزيلا ، يا حضرة الشرطى .

الشرطى الثانى : العفو ..

بيرانجيه (الى الشرطى الثانى الذى تاهب للانصراف) : الآن وقد عرفت من أنا ، وعرفت موضوعى ، اسمح لى بأن أسألك المشورة ، وأطلب منك المعاونة .

الشرطى الثانى : أنا لا أعرف ما هو موضوعك .

بيرانجيه : بلى ، يا حضرة الشرطى ، ألا ترى ؟ لقد فهمت

بوضوح اننى أبحث عن القاتل . وماذا عساى أفعل غير ذلك فى هذه النواحى ؟

الشرطى الثانى : تمنعنى من تنظيم المرور ، مثلا .

بيرانجيه (دون أن يسمع هذه العبارة الأخيرة) : .. من الممكن القاء القبض عليه ، فعندى كل الأدلة .. أعنى أنها مع أدوار ، وسيحضرها لى ، انها فى حقيبته .. انها عندى، من حيث المبدأ .. وريثماتصل ، على أن أذهب الى المحافظة، وهى لاتزال بعيدة . فهل يمكن أن يرافقنى أحد ؟

الشرطى الثانى (الى الأول) : هل تسمعه ؟ انه يطالب بامتيازات !

الشرطى الأول (متوقفا عن حركته ، الى الثانى) : هل هو من أهل الفن ؟ أهو مخبر ؟

الشرطى الثانى (الى الأول) : بل ولا هذا ! آه ، من هؤلاء الأولاد ! **(يصفر للمرور .)**

بيرانجيه : اسمعنى ، أرجوك ، المسألة جدية تماما . لقد رأيت . اننى رجل شريف .

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : وماذا يعنينى من كل ذلك ؟

بيرانجيه (وهو ينتصب) : عفوا ، عفوا ، اننى مواطن ، وهذا يعنينى ، هذا يعنينا جميعا ، فاننا جميعا مسئولون عن الجرائم التى .. على كل حال ، اننى مواطن حقيقى .

الشرطى الثانى (الى الأول) : هل تسمعه ؟ ياله من ثرثار !

بيرانجيه : اسألك سؤالى مرة أخرى ، يا حضرة الشرطى **(الى الشرطى الأول)** وأسألك أنت أيضا !

الشرطى الأول (ولا يزال منهمكا فى تنظيم المرور) مفهوم .. مفهوم !

بيرانجيه (مواصلا كلامه ، يخاطب الجندى الثانى) : وأسألك أنت أيضا : هل يمكن أن يرافقنى أحد حتى المحافظة؟ اننى صديق للمأمور ، للمهندس !

الشرطى الثانى : هذا ليس فى اختصاصى . انك لست غبيا ، وها أنت ذا ترى أننى من رجال المرور !

بيرانجيه (بشجاعة أكبر) : اننى صديق للمأمور !..

الشرطى الثانى (مائلا نحو بيرانجيه ، يصيح فى أذنه تقريبا) : أنا من رجال المرور !

بيرانجيه (وهو يتراجع قليلا) : نعم ، نعم ، ولكن .. المصلحة العامة .. السلامة العامة !

الشرطى الثانى : السلامة العامة ؟ نعتنى بها عندما نجد الوقت . المرور أولا !

الشرطى الأول : من يكون هذا الشخص ؟

بيرانجيه : مجرد مواطن ، وأؤكد لكم ..

الشرطى الأول (كلامه يتخلل صفيره) : هل معه آلة تصوير ؟

بيرانجيه : ليس معى آلة تصوير ، فتشونى يا حضرات . **(يقلب جيوبه .)** .. لست مخبرا صحفيا ..

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : من حسن حظك انك لا تحمل آلة التصوير ، والا لكنت كسرت وجهك !

بيرانجيه : لن أبالى بتهديدك . ان المصلحة العامة أهم من شخصى . لقد قتل « دانى » أيضا .

الشرطى الثانى : من يكون ، « دانى » ؟

بيرانجيه : لقد قتلها !

الشرطى الأول (كلامه يتخلل صفيره واشاراته وأوامره : « الى اليمين ! الى اليسار ! » .) : انها عشيقته ..

بيرانجيه : لا ، يا سيد ، لقد كانت خطيبتى . كانت

ستصبح كذلك .

الشرطي الثاني (الى الأول) : هـذا شيء عظيم . انه يريد أن يأخذ بثأر عشيقته .

بيرانجيه : لاينبغي أن تظل الجريمة بلا عقاب !

الشرطي الأول : ما أشد عنادهم ! أواه !

الشرطي الثاني (بصوت أعلى ، وهو عائد الى بيرانجيه) : ليس هذا شغلي ، هل تسمعني ؟ حكايتك لا تهمني . مادمت صاحب الرئيس ، فاذهب وقابله ، وحل عني .

بيرانجيه (محاولا أن يناقش) : يا حضرة الشرطي .. أنا أنا ..

الشرطي الثاني (بنفس الطريقة ، بينما يضحك الشرطي الأول ساخرا) : .. أنا على حفظ الأمن ، فانصرف وأمن جانبي ! انك تعرف الطريق .. **(يشير الى الجزء الخلفي من المنظر ، الـذي تسـده السيارتان)** .. اذن ، انجر ، أمامك الدنيا واسعة !

بيرانجيه : حسنا ، يا حضرة الشرطي ، حسنا يا حضرة الشرطي !

الشرطي الثـاني (الى الأول ، بتهكم) : أفسح الطريق للسيد ! **(كما بسحر ساحر ، تنزاح السيارتان ، وتنحسر مؤخرة المنظر كلهـا ، فالديكور يجـب أن يكون من النوع المتحرك .)** أفسح الطريق للسيد ! **(اختفى الشرطي الأول مع الجدار الخلفي والسيارتين ، ونلمح الآن في مؤخرة المسرح ، شارعا طويلا جدا ، يقوم في أقصاه ــ حيث الشمس الغاربة ــ مبنى المحافظة . ترام مصـغر يعبر خشبة المسرح ، من بعيد .)** أفسح الطريق للسيد .

الشرطي الأول (وهـو يعـود الى الظهور ثم يختفي مع ((الديكور)) الـذي ينزاح مارا فوق سـطح بيت من بيوت

الشارع الذى بزغ الآن) : هيا ، سر ! **(يلوح له بأن يسير ، وينوارى •)**

بيرانجيه : فهذا هو ما أفعله !

الشرطى الثانى (الى بيرانجيه) : انى أكرهك ! **(فجأة اختفى الشرطى الثانى بدوره ، وأظلم المنظر قليلا • بيرانجيه الآن وحيد •)**

بيرانجيه (فى اتجاه الشرطى الثانى الذى اختفى) : بل من حقى أنا أن أقول لك ذلك ! أما الآن ، فليس لدى وقت لكى •• ولكن سوف تبلغك اخبارى ! **(يصيح مخاطبا الشرطيين المختفيين •)** سوف تبلغكما أخبارى !!

(الصدى يرجع : ((ما أخبارى)) •• بيرانجيه اذن بمفرده على خشبة المسرح كلها • فى المؤخرة ، لا نرى الآن الترام المصغر • وكل شىء يشعر بوحدة بيرانجيه، بالفراغ الذى يكتنفه ، وبوحشة هذا الشارع العريض الممتد بين المدينة والريف • تمكن ازالة جزء من الديكور، بقصد توسيع المنظر • وفى المشهد التــــالى ، يظهر بيرانجيه انه يمشى مشيا متصلا • واذا لم تكن خشبة المسرح مزودة بلوح دائر ، يستطيع بيرانجيه أن يخطو خطاه وهو فى مكانه • ثم يمكن ، مثلا ، اظهار جدارين من جديد ، وتقريبهما فى صورة ممر ، مما يوحى بأن بيرانجيه سوف يقع فى كمين • أما الضوء فلن يتغير : انه الأصيل ، بشمسه الصهباء التى نراها ، ســواء عندما يتسع المنظر أو فى اقصى الممر الذى يؤلفه بعد ذلك ((ديكور)) يمثل ما يشبه شارعا ضيقا بويلا • زمان جامد ، أصيل جامد •

فى سيره ، يلوح على بيرانجيه قلق متزايد • انه يبدأ مشيه ــ ثابتا فى مكانه أولا ــ بخطى حثة فى

اول الأمر ، وبعد ذلك يكثر - بصورة مطردة - من التلفت وراءه ، وتبطىء خطاه وتتردد . وبعـد ذلك يتطلع الى يمينه ، والى يســاره ، والى ورائه من جديد ، وفى آخر الأمر يبدو عليه أنه يريد أن يفر ، ويهم بالرجوع ثم يسيطر على نفسه بعد لأى . واذ يقرر فى عناء أن يتقـدم ، يستأنف سيره منطلقا الى الأمام . واذا كان ((الديكور)) غير متحرك ولا يمكن ابداله دون اسدال الستارة أو دون اطفاء الأنوار ، يستطيع بيرانجيه فى هذه الحال أن يقطع خشبةالمسرح من احد طرفيهاالى الطرف الآخر ثم يعود على أعقابه ، وهكذا . وفى الختام ، يتقدم بحـذر ، ناظرا الى كل ناحية . ومع ذلك ، قبيل نهاية الفصل ، عندما يظهر آخر أشخاص المسرحية - أو يسمع أولا صوته ، أو يسمع صوته ويظهر فى آن واحد - ينبغى أن يؤخذ بيرانجيه على غرة : وهكذا ينبغى أن يظهر هذا الشخص فى اللحظة التى ينظر فيها بيرانجيه الى جانب آخر . ومن ناحية أخرى ، ينبغى أن يمهد بيرانجيه بنفسه ظهور تلك الشـــخصية ، اذ يجب أن نحس بقرب محضرها خلال اشتداد قلق بيرانجيه .)

بيرانجيه (وهو يبـدأ السير - فى محله مثلا ، واثنــاء سيره ، يدير رأسه ناحية الشرطيين ، أى الى ((الكواليس)) اليمنى ، ملوحا لهما بقبضة يده) : أنا لا أستطيع أن أفعل كل شىء فى وقت واحد . انى أتولى أمر السفاح . وسوف أتولى أمركما أيضا . (يسير مدة ثانيتين فى سكون ، حثيثا الخطى) ان موقفكما لا يقبل بأى حال من الأحوال ! ليس التبليغ من كرم الخلق ، ولكننى سأتحدث فى الموضوع رغم ذلك مع المأمور الأكبر ، كونا على ثقة من هذا ! (يمشى فى سكون) على شرط الا أكون قد تأخرت ! (حفيف الريح ،

ورقة ذابلة من أوراق الشجر تتطاير ، بيرانجيه يرفع من معطفه حول عنقه) وهذه الريح الآن ، علاوة على ما أنا فيه . والنهار الذى يهبط . هل سيتمكن ادوار من اللحاق بى قبل فوات الفرصة ؟ هل سيتمكن ادوار من اللحاق بى قبل فوات الفرصة .؟ ما أبطأه ، هذا الولد ! **(يمشى فى سكون ، يتبدل ((الديكور)) أثناء سير بيرانجيه)** بحسب تغيير كل شىء . أولا ، ينبغى البدء باصلاح الشرطة .. هؤلاء الناس لا يصلحون الا لتعليمنا الأدب ، واما اذا احتجنا اليهم حقا .. للقيام بحمايتنا .. فالى غيرهم يحيلوننا .. ويسقطوننا من حسابهم .. **(يلتفت وراءه)** لقد ابتعدوا الآن ، هم وسياراتهم .. فلأسرع . **(يستأنف السير)** نعم .. اذا لجأنا اليهم ليقوموا بحمايتنا ، فضلوا اهمالنا ! **(ينظر أمامه)** ينبغى أن أصل قبل الليل . يبدو أن الطريق غير مأمون . ومازال هناك بعيدا .. انه لا يقترب .. أنا لا أتقدم ، كأنى اسير فى محلى **(سكون)** لا نهاية لهذا الشارع ، بقضبان الترام الممتدة فيه .. **(سكون)** ها هى ذى مع ذلك الحواجز ، والطريق الخارجى .. **(يسير فى سكون)** انى أرتعش . الريح الباردة ، هى السبب . انى كالخائف ، ولكن هذا غير صحيح . فأنا معتاد على الوحدة .. **(يمشى فى سكون)** لقد عشت وحدى دائما .. ومع ذلك فأنا أحب الانسانية ، ولكن من بعيد . وما العيب فى ذلك ، مادمت أهتم بمصيرها ؟ والدليل : هو أننى أعمل .. **(يبتسم)** أنا اعمل .. أنا اعمل .. انا اعمل .. صعب لفظها ! على كل حال ، ربما أتعرض للأخطار ، من أجلها .. ومن أجل « دانى » أيضا . وما الأخطار ؟ الادارة سوف تحمينى . يا حبيبتى « دانى » ، لقد لوث الشرطيان ذكراك . وسيكفران لى عن ذلك . **(ينظر وراءه ، وأمامه ، ويقف)** أنا فى منتصف الطريق .

تقريبا .. (**يستأنف السير ، بخطى مترددة ، أثناء سيره ، يلقي نظرات الى الوراء**) أدوار ! أهـــذا أنت يا ادوار ؟! (**الصـــدى يرجع : ((وا .. ا .. وار))**) لا ، انه ليس ادوار !.. بعد أن يعتقل ، ويقيد ، ويحال بينه وبين ايذاء الناس ، سوف يعود الربيع الى الأبد ، سوف تصبح جميع المدن منيرة .. وسوف أنال المكافأة . انها ليست ما أسعى اليه . يكفيني أنني أديت واجبي .. على شرط ألا أكون قد تأخرت ، على شرط ألا أكون قد تأخرت . (**حفيف الريح ، أو صيحة حيوان . بيرانجيه يقف**) وما بالي لا أرجع .. لكي أبحث عن ادوار ؟ وغدا نذهب الى المحافظة . نعم ، سأذهب غدا ، مع ادوار .. (**يدور الى الخلف ، ويخطو خطوة في طـــريق العودة**) لا ، ســـــوف يلحق بي ادوار ـ بالتأكيد ـ بين لحظة وأخرى . (**الى نفسه**) فــكر في « داني » . على أن أثأر لداني . على أن أمنع الشر ! نعم ، نعم ، اني واثق . على أي حال ، لقد ابتعدت الآن جـدا ، والظلام أشد في طريق البيت . ان الضوء في هــذه المنطقة أكثر . (**يصيح مرة أخرى**) ادوار ! ادوار !

الصدى : ا .. دو .. ار .. وار ..

بيرانجيه : لا يستطيع الناظر أن يرى هل هو آت أم لا . لعله قريب جدا . هيا . (**وهو يستأنف سيره في كثير من الحـــذر**) لا يبدو ذلك ، ولكني قد قطعت مرحلة كبيرة .. بلي ، بلي .. لايمكن انكار هذا .. أنا كأني لا أتقدم ، ولكني أتقدم .. أتقدم .. توجـد الحقول المحروثة الى يميني ، وهنا ، الشارع المقفر .. لم نعد نخشى انسداد المرور ، على الأقل ، ويستطيع السائر أن يتقدم ! (**يضحك . الصـــدى يرجع الضـــحكة بغير وضوح .. بيرانجيه يدير رأسه ، مرتاعا**) ما هذا ؟.. انه الصـــدى .. (**يستأنف سيره**)

لايوجد أى شخص ، طبعا .. وهناك ، من هناك ؟ هنا وراء هذه الشجرة ! (**يندفع وراء شجرة جرداء امامهـــا تظهر متحركة فى ((الديكور))) لا ، ما من أحـــــد .. (ورقة من جريدة قديمة تسقط من الشجرة)** آاه .. اخاف من ورق الجرائد الآن ؟ انى غبى (**ينطلق ضاحكا ، الصدى يرجع : ((.. نى .. غبى ..)) ، وكذلك الضحكة التى انطلقت ، فى صورة مشوشة)** يجب أن أتقدم .. يجب أن أواصل ! انى فى حمى الادارة ، أتقدم .. أتقدم .. يجب .. يجب .. (**وقفة**) لا . لا . الأمر لايدعو ، فسأدخل على أى حال بعد فوات الموعد . والذنب ليس ذنبى ، هو ذنب .. هو ذنب الـ .. المرور ، فقدأخرنى انسدادالطريق .. وخصوصا ذنب ادوار .. فهو ينسى كل شيء ، ينسى كل شيء هـذا الشخص .. ربما يقتل السفاح قتيلا فى هـذه الليلة .. (**وثبة**) لابد من منع هـذا منعا قاطعا . على أن أذهب . انى ذاهب الى هناك . (**يخطو أيضا خطوتين أو ثلاثا فى اتجاه المحافظة المفروض**) وفى الواقع ، سيان ذهبت أم لم أذهب ، لأن الوقت قد فات . واذا ازداد عدد القتلى بضع ضحايا ، فليس الأمر خطيرا ، بعد أن بلغنا هـذا المبلغ !.. سوف نذهب غدا ، أنا وادوار ، تبسيطا للموضوع ، ففى هـذا المساء ستكون المكاتب مغلقة ، ولعلها قد أغلقت الآن .. وما الفـائدة من أن .. (**يصبح ناحية اليمين ، فى الكواليس**) ادوار ! ادوار !!

الصدى : ا .. ار .. ا .. ار .

بيرانجيه : انه لن يأتى الآن . ليس ما يدعو الى الاصرار . لقد تأخر الوقت . (**ينظر الى ساعته**) ساعتى قد وقفت ... لابأس ، لم يضع شيء ، مادمنا سننتظر .. سأذهب غدا ، مع ادوار !.. والمأمور سيقبض عليه غدا . (**يستدير**

الى الوراء) أين البيت ؟ عسى أن أجد الطريق ! انه من هنا !
(يستدير باندفاع ، مرة أخرى ، فيرى ، فجأة ، بجواره ، أمامه ، السفاح) آه !

(طبعا ، لن يتغير المنظر . وعلى أى حال ، لايكاد الآن يوجد شيء من ((الديكور)) . لايوجد سوى جدار ، ومقعد . وخلاء السهل . ضوء خافت منتشر فى الأفق . الكشافات تسلط على الشخصين نورا كالحا ، وأما الباقى فيشمله الظلام .)

السفاح (ضحكة صفراء ، انه قصير القامة جدا ، نابت اللحية ، رهيف البنية ، على رأسه قبعة ممزقة ، ويرتدى معطفا باليا من ((الجبردين)) ، وهو أعور ، وينبعث من عينه الوحيدة بريق كبريق الفولاذ . وجه لاينحرك ، وكأنه جامد ، حذاء قديم متآكل الأطراف يظهر أصابع قدميه . عند ظهوره ، الذى ينم عنه ضحكه ، ينبغى أن يوجد واقفا على مقعد ــ مثلا ــ أو على حافة جدار ، ثم ينزل من مكانه بهدوء ــ لاتكاد تقطعه الا ضحكاته ، ويقترب من بيرانجيه . وفى هذه اللحظة خاصة يتبين الناظر قصر قامته .)

بيرانجيه : انه هو ، انه القاتل **(الى القاتل)** اذن ، فهذا أنت !

السفاح : (لا يكاد يرسل ضحكته الصفراء . بيرانجيه ينظر حوله ، فى قلق)

بيرانجيه : لاشيء سوى السهل المظلم ، يمتد حولنا .. لا حاجة بك لأن تقول لى ذلك ، فأنا أراه كما تراه . **(ينظر ناحية المحافظة ، فى الأفق البعيد)**

السفاح : (لا يكاد يرسل ضحكته الصفراء)

بيرانجيه : أهى بعيدة جدا ، المحافظة ؟ هــــذا ما قلته الآن ؟ أنا عارف . **(ضحكة صفراء من السفاح)** أم ذاك أنا

الـــذى تكلمت ؟ (**ضحكة صفراء من السفاح**) انك تسخر منى ! انى أنادى الشرطة ، للقبض عليك . (**ضحكة صفراء من السفاح**) تقول ان هذا لا يجدى ، انهم لن يسمعونى من هنا ؟

(ينزل السفاح من فوق المقعد أو من حافة الجدار، فى عدم اكتراث رهيب ، وهو يضحك من بيرانجيه ضحكة صفراء غير واضحة ، ويداه فى جيبيه .)

بيرانجيه (على حدة) : تبا لأولئك العساكر القذرين ، لقـد تعمدوا أن يتركونى وحدى معه . يريدون أن يفهموا الناس أن المسألة مسألة ثأر شخصى . (**الى السـفاح ، وهو يصبح تقريبا**) لماذا ؟ قل لى لمـاذا ؟! (**السفاح يطلق ضحكته الصفراء ، ولا يكاد يهز كتفيه استخفافا ، انه على مقربة جدا من بيرانجيه ، ينبغى أن يظهر امتياز بيرانجيه على السفاح ــ الأقزم تقريبا ــ لا بطول القامة فحسب ، بل بشدة العنفوان أيضا . تصدر عن بيرانجيه ضحكة عصبية**) أوه ، انما أنت رهيف البنية جدا ، أرهف من سائر المجرمين، يا صاحبى المسكين ! انك لا تخيفنى ! أنظر الى ، انظر كم انا أقوى منك . باصبع واحدة ، باصبع واحدة ، أستطيع أن أطويك فى جيبى . هل فهمتنى ؟ (**نفس الضحكة الصفراء من السفاح**) انك ــ لا ــ تخيـ ــ فنى ! (**ضحكة السفاح**) فى امكانى أن أسحقك مثل دود الأرض . ولكننى لن أفعل هذا . أنا أريد أن أفهم . أجب الآن عن أسئلتى . انك انسان ، رغم كل شىء .. وربما كانت لديك أسباب . عليك أن تشرح لى ، والا فأنا لا أعرف ما الـــذى .. قل لى الآن لماذا .. أجب !

(السفاح يضحك ضحكة صفراء ، ولا يكاد يهز كتفيه استخفافا . ينبغى أن يكون بيرانجيه مؤثرا

وساذجا ، أى محملا ببعض السخرية ، وكل تمثيله يجب أن يبدو فى آن واحد مضحكا وصادقا ، تافهـا ومؤثرا . انه يتحدث ببلاغة ينبغى أن تبرز ما يعرضه من آلام معاد ، عقيم ومبتذل .)

بيرانجيه : ان شخصا يفعل ما أنت تفعله ، ربمـا يفعله لأنه .. اسمع .. انك حلت دون سعادتى ، ودون سـعادة الكثيرين .. هذا الحى من المدينة ، هذا الحى المنير الساطع، الذى أوشك أن يصبح مصدر اشعاع فى الدنيا كلها .. لو أن فى نفسك بقية من أى شعور نحو وطنك .. فان هـذا كان خليقا بأن ينير نفسك بأشعته ، وكان خليقا بأن يؤثر فى عواطفك أنت أيضا مع الكثـيرين من الآخرين ، وكان خليقا بأن يجعلك سـعيدا أنت نفسـك .. كان عليك أن تنتظر ، فالمسألة لم تكن تعدو مسألة صبر .. والصبر جميل ، وعدم الصبر هو الذى يفسد كل شىء .. نعم ، كان فى وسعك أن تصبح سعيدا ، كان فى وسـع السـعادة أن تبلغك ، كان فى وسعها أن تتسع ، ربما كنت لا تعلم ذلك ، ربما كنت لاتعتقد ذلك .. وفى ذلك كنت مخطئا .. فان سعادتك الخاصة هى التى أنت حطمتها بتحطيم سعادتى وسعادة الآخرين جميعا .. (**ضحكة صفراء خفيفة من السفاح .**) انك لا تؤمن طبعا بالسعادة . أتؤمن بأن السعادة مستحيلة فى هذا العالم ؟ انما أنت تريد أن تحطم العـالم لأنك ترى أن العـالم مقضى عليه بالشقاء . اليس كذلك ؟ أو ليس كذلك ؟ أجب !! (**ضحكة صفراء من السفاح .**) ربما لم يخطر لك لحظة واحدة أنك على خطـأ . أنت متأكد من أنك على صواب . وذلك تكبـر أحمق من جانبك . قبل أن تصدر على المسألة حكما نهائيا ، دع على الأقل للآخرين أن يقوموا بتجاربهم . انهم يحاولون أن يحققوا ، بصورة عملية ، فنية ، هنا ، على هـذه الارض

بعينها ، تلك السعادة : فلعلهم يفلحون ، من يدرياك ؟ واذا لم يفلحوا ، سترى ذلك فيمابعد . **(ضحكة صفراء من السفاح .)** هل انت من المتشائمين ؟ **(ضحكة صفراء من السـفاح .)** هل أنت من العدميين ؟ **(ضحكة صفراء من السفاح .)** هل انت من الفوضويين ؟ **(ضحكة صفراء من السفاح .)** ربما كنت لا تحب السـعادة ، ربما كانت السعادة شـيئا آخر بالنسـبة اليك . قل لى ما هو تصورك للحياة ؟ وما هى فلسـفتك ؟ ما هى حوافزك ؟ وأهدافك ؟ أجب !! **(ضحكة صفراء من السفاح .)** اسمعنى : لقد أسأت الى شخصيا أكبر اساءة ، بتحطيم كل ما .. على كل حال ، لنتجاوز .. ولندع الحديث عن نفسى . ولكنك قتلت « دانى » : فما ذنبها ، « دانى » ؟ لقد كانت انسانا رقيقا ، لها بعض العيوب بلا شك ، فهى ربما كانت تميل الى الغضب ، ويستخفها شىء من النزق ، ولكن قلبها كان طيبا وجمالها كان يشفع لها عن كل ذنب ! لو عمدنا الى قتل كل الفتيات النزقات لأنهن نزقات ، أو كل الجيران لأنهم يحدثون ضجة ويمنعوننا من النوم ، أو أى واحد من الناس لأنه يخالفنا فى الرأى ، لكان عملا غبيا ، أليس كذلك ؟ وهذا بعينه ما أنت نفعله ! أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟! **(ضحكة صفراء من السفاح .)** دعنا من الحديث عن « دانى » ، فلقد كانت خطيبتى ، وقد تعترض على هنا أيضا بأنها مسألة شخصية ، ولكن هلا قلت لى .. ماذا فعل لك ضابط سلاح المهندسين ، ضابط أركان الحرب ؟ **(ضحكة صفراء من السفاح .)** مفهوم .. مفهوم : هناك من يكرهون الزى العسـكرى ، ويرون فيه — بحق أو بغير حق — رمز السلطة المستغلة ، والطغيان ، والحرب التى تدمر الحضارات . حسنا . دعنا من اثارة هذه المشكلة التى قد تؤدى بنا الى أبعد مما نقصد ، ولكن المرآة **(ضحكة صفراء من القاتل .)** .. انك لتعرف عمن أريد أن اتحدث ، تلك

المرأة ذات الشعر الأحمر ماذا فعلت لك ؟ ماهى أسباب حقدك عليها ؟ أجب ! (**ضحكة صفراء من القاتل .**) فلنفرض انك تكره النســـاء : لأنك ربما كنت موضــع خيــانتهن ، ولم يحببنك لأنك . . أنت على كل حال غــير جميــل الشــكل . . وهذا ظلم ، فى الواقع ، ولكن الحياة ليست مقصورة على الحياة الجنسية ، تجاوز تلك الضغينة . . (**ضحكة صفراء من القاتل .**) وأما الطفل ، الطفل ، فماذا فعل لك ؟ ان الأطفال لا يذنبون فى شىء ! أليس كذلك ؟ انك نعرف عمن أريد أن أتحدث : عن الصغير الذى ألقيته فى الحــوض مع المرأة والضابط ، ذلك الولد المسكين . . ان الأطفال مناط آمالنا ، فلا ينبغى التعرض لأى طفل ، ذلك هو الرأى العام ! (**ضحكة صفراء من القاتل .**) ربما كنت ترى ان الجنس البشرى فاسد من أســاسه . اجب ! انك تريد أن تعاقب الجنس البشرى حتى فى شخص الطفل ، فى أبعد عناصره عن الفساد . . يمكننا أن نناقش هذا الموضوع مناقشة علنية ، تناظرية ، لو شئت ، انى أقترح عليك ذلك ! (**القاتل يضحك ضحكة صفراء ، ويهز كتفيه .**) أنت ربما تقتل كل هؤلاء الناس رفقا بهم ! لكى تمنعهم من أن يتعذبوا ! فأنت تعتبر أن الحياة مجرد عذاب ! لعلك تريد أن تشفى النــاس من وسواس الموت ؟ فأنت ترى ــ كما رأى كثيرون غيرك من قبل ــ أن الانسان حيوان مريض ، وأنه سيظل دائما حيوانا مريضا ، برغم جميع مظاهر التقدم الاجتماعى ، والفنى أو العلمى ، وتريد أن تعمم بين الناس فيما يبدو نوعا من الموت بلا ألم ؟ انما ذلك خطأ ، ذلك خطأ . أجب ! (**ضحكة صفراء من القاتل .**) بلى ، فعلى كل حال ، ليست للحيــاة قيمة تذكر ، واذا قصر الأجل ، قصر أيضــا عذاب الانســانية ! وما ضرك لو طال عذاب الناس أو قصر ، أربعين ســنة ،

ثلاثين سنة ، أو عشر سنين ؟ دع الناس يتعذبوا ان شاءوا . دعهم يتعذبوا ما طاب لهم العذاب .. وبأى حال ، سوف ينقضى ذلك، فما هى الا بضع سنين ثم تكون لهم حياة الخلود التى لا يتعذبون فيها . دعهم اذن يموتوا من تلقاء نفسهم ، فان تلبث جميع المشاكل أن تنتهى الى العدم . كل شىء سيخمد ، كل شىء سينتهى من تلقاء نفسه . لا تتعجل الأحداث : فهذا لا ينفع . **(ضحكة صفراء من القاتل .)** ولكنك تضع نفسك فى وضع غير معقول ! ان كنت تظن انك تحسن الى الانسانية بتحطيمها ، فانك تخطىء ، وهذه حماقة !.. ألا تخشى أن يسخر منك الناس ؟ قل ! اجب عن هذا ! **(ضحكة صفراء من السفاح ، وضحكة عصبية مجاملة من بيرانجيه . ثم ، بعد أن يراقب السفاح بضع لحظات)** : أرى أن ذلك لايهمك . انى لم ألمس المشكلة الحقيقية ، لم ألمس ما يحرك أعماق نفسك . اجبنى : هل تكره الجنس البشرى ؟ **(ضحكة صفراء من السفاح .)** ولماذا ؟ أجب ! **(ضحكة صفراء من السفاح .)** فى هذه الحال، لا تتعقب الناس ببغضك ، فهذا شىء لا يجدى ، شىء يعود عليك أنت بالعذاب ، فالبغضاء تؤذى صاحبها ، ومن الافضل أن تحتقرهم ، نعم ، انى أسمح لك بأن تحتقرهم ، اعتزلهم ، عش فى الجبال ، اعمل راعيا ، وهكذا تستقيم لك الحياة بين الخراف ، والكلاب **(ضحكة صفراء من السفاح .)** انك لا تحب الدواب كذلك ؟ لا تحب أى كائن حى ؟ حتى النبات ؟.. فما قولك فى الأحجار ، والشمس ، والنجوم ، والسماء الزرقاء ؟ **(السفاح يضحك ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه .)** لا . لا ، انى غبى . لا يمكن أن يكره الانسان كل شىء ! هل تعتقد أن المجتمع فاسد ، وأن من المحال اصلاحه ، وأن الثوار مغفلون ؟ **(السفاح يهز كتفيه)** هلا اجبتنى ؟ أجبنى !

آاه ! لا سبيل الى الكلام معك ! اسمع : انى على وشك الغضب ، فخذ حذرك ! لا .. لا .. لا يجب أن أفقد هدوئى ، وانما واجبى أن أفهمك . لا تنظر الى هكذا بعينك الفولاذية : سوف أكلمك بصراحة . منذ قليل ، كانت عندى نية الثأر ، لنفسى وللآخرين . كنت أريد أن يقبضوا عليك ، وأن يشنقوك . ولكن الانتقام غباء . والقصاص ليس حلا . كنت حانقا عليك . كنت أستنزل عليك الموت .. فلما رأيتك .. ليس من أول وهلة ، ليس فى اللحظة ذاتها ، لا ، بل بعد انقضاء بضع لحظات ، قد .. ومن المضحك أن أقول هذا ، فأنت لن تصدقنى ، ومع ذلك فلا بد أن أفاتحك .. نعم .. انك انسان ، كلانا من نفس الجنس ، وعلينا أن نتفاهم ، هذا واجبنا .. بعد انقضاء بضع لحظات ، أحسست نحوك بالحب ، أو بما يشبه الحب .. لأننا أخوة ، .. واذا كرهتك فانما اكره نفسى .. (**ضحكة صفراء من السفاح .**) لا تضحك ! فانه شىء موجود ، هذا التضامن ، هذا الاخاء الانسانى ، أنا مقتنع بذلك ، لا تضحك .. (**يضحك السفاح ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه .**) .. آه .. انما أنت مجرد .. انما أنت مجرد .. اسمعنى جديا : اننا أقوى الناس ، وأنا أقوى منك بدنيا ، أيها العاجز الشقى ، أيها المخلوق الضعيف ! وفوق ذلك ، فالقانون فى صفى .. والشرطة ! (**ضحكة صفراء من السفاح .**) العدالة ، وجميع قوات النظام ! (**السفاح يعاق نفس التعليق .**) يجب على ، يجب على ، الا أستسلم للغضب .. أعذرنى .. (**نفس التعليق من جانب السفاح . برانجيه يجفف جبهته .**) انك مسيطر على نفسك خيرا مما أسيطر على نفسى .. ولكنى أستعيد هدوئى ، أستعيد هدوئى .. لا تخف .. على أى حال ، أنت لا يبدو عليك الخوف .. أعنى ، لا تحقد على ..

غير أنك لا تحقد على كذلك .. لا ، ليس هذا هو القصد ، لقد ضللت عن القصد .. آه ، نعم ، نعم .. أنت ربما لا تعرف هذا : (**بصوت مرتفع جدا .**) ان المسيح قد مات على الصليب من أجلك ، تعذب من أجلك ، انه يحبك !!! لابد أنك فى حاجة الى من يحبك ، فأنت تظن أنك غير محبوب ! (**نفس التعليق من السفاح .**) لك منى كلمة شرف بأن القديسين يسكبون الدموع من أجلك ، أنهارا وبحارا من الدموع . انها تغمرك من هامة رأسك الى اخمص قدميك ، ومحال الا تحس بشىء من البلل ! (**ضحكة صفراء من السفاح .**) دع عنك ضحكتك الصفراء . انك لا تصدقنى ؛ انك لا تصدقنى !.. اذا كان مسيح واحد لا يكفيك ، فانى اتعهد لك بأن أصعد على طرق الآلام — من أجلك ليس الا — وأن أدفع الى الصلب حبا فيك كتائب من المخلصين !.. لابد أنهم موجودون ، سوف أجد بعضهم ! هل تريد ؟ (**نفس التعليق من السفاح .**) هل تريد أن تهلك العالم كله لكى تخلص ، لكى تنعم بلحظة من السعادة ، لكى تتمتع بابتسامة ؟ هذا أيضا ، من الممكن عمله ! اننى شخصيا على استعداد لأن أقبلك ، وأن أكون واحدا ممن يحملون اليك العزاء . سوف أضمد جراحك ، لأنك مصاب بجراح ، السست كذلك ؟ لقد تألمت ، أليس كذلك ؟ هل ما زلت تتألم ؟ انى أشفق عليك ، اعرف ذلك . هل تريد أن أغسل قدميك ؟ هل تريد حذاء جديدا بعد ذلك ، انك تنفر من العاطفية الساذجة . نعم ، أرى هذا ، لا يمكن التأثير فيك عن طريق العواطف . انك لا تريد أن تقع فى شرك الحنان ! تخاف أن تخدع . ان مزاجك ومزاجى على طرفى نقيض . صحيح أن الناس جميعا اخوة ، ولكنهم أشباه لا يتشابهون دائما . ومع ذلك ، فهناك نقطة مشتركة . ينبغى أن توجد نقطة مشتركة ،

لغة مشتركة . . أى لغة ؟ أيها ؟ (**نفس التعليق من السفاح .**) آه ، اننى أعلم الآن ، أعلم . . أترى ؟ اننى خيرا أفعل اذ لا أستيئس منك . فنحن نستطيع أن نتكلم بلغه العقل . انها اللغة المناسبة . أنت من أهل العلم ، ألست كذلك ؟ من أهل العصر الحديث ، أليس كذلك ؟ لقد خمنت هذا . . انت انسان يفكر بالعقل . انك لا تعترف بالحب ، وتشك فى الرحمة ؛ فهى لاتدخل فى تقديراتكم ، وتعتقدون أن الرحمة خداع ! أليس كذلك ؟ أليس كذلك ؟ (**ضحكة صفراء من السفاح .**) انى لا أوجه اليك اتهاما . انى لا أزدريك لهذا السبب . فعلى أى حال ، ذلك رأى من الآراء يمكن الدفاع عنه ، ولكن ، بينى وبينك ، انظر : ما الفائدة التى تعود عليك من كل هذا ؟ ما هى مصلحتك ؟ ما المنفعة التى تحصل عليها أنت ؟ عليك بقتل الناس — اذا شئت — ولكن قتلا فكريا . . دعهم يعيشوا بدنيا (**السفاح يهز كتفيه ، ويرسل ضحكته الصفراء .**) آه ، نعم ، قد يبدو هنا تناقض مضحك ، فى نظرك . فقد ترى هذا جنوحا نحو المثالية ، وانت من انصار فلسفة عملية ، وأنت رجل أفعال لا أقوال . عظيم ! فالى أين يمكن أن يقودك هذا الفعل ؟ ما هو هدفك الأخير ؟ هل ساءلت نفسك عن موضوع الغايات والمقاصد ؟ . (**يضحك السفاح ضحكته الصفراء ، ويهز كتفيه هزة أشد مما سبق .**) اذن ، فهو فعل — بكل بساطة — عقيم ، سلبى ، منهك . انه لا يجلب لك الا الهموم . . وحتى لو أغمضت الشرطة عينيها — وهو ما يحدث فى معظم الحالات — ما الفائدة من كل تلك الجهود ، والمتاعب ، وخطط التنفيذ المعقدة ، وليالى التربص المنهكة ؟ . . احتقار البشر ؟ ربما كان هذا شيئا لا يهمك . انك تحصد خوفهم ، صحيح ، وهذا شىء يذكر . طيب ، ولكن ماذا يغل عليك خوفهم ؟ انه ليس برأسمال . وانت لا تعنى باستغلاله . أجب !

(**ضحكة صفراء من السفاح .**) انما انت فقير ، هل تريد مالا ؟ انى أستطيع أن أوفر لك عملا ، فى وظيفة محترمة .. لا . لست فقيرا ؟ فهل أنت غنى ؟.. آاه .. حسنا ، لا أنت بالغنى ولا أنت بالفقير !.. (**ضحكة صفراء من السفاح .**) .. فهمت ، انت لا تريد أن تشتغل ! فدع عنك الشغل . سوف أتكفل بك ، أو ، بالاحرى — لأننى شخصيا فقير — سوف أتدبر الأمر بحيث نساهم فى النفقات ، فان لى أصدقاء ، وسأخاطب المهندس فى هذا الشأن . وسوف تعيش مطمئنا . سوف نذهب الى القهوة ، الى الحانة ، واعرفك ببنات طيعات .. أن الجريمة لا تفيد صاحبها . فأقلع عن الجرائم ، تنل وتصاحب . معقول ما اقوله لك ؟ (**ضحكة صفراء من السفاح .**) هل تقبل ؟ اجب ! هل تعرف لغة البلد ؟.. أنصمت ، فسأعترف لك اعترافا يمزق القلوب . انى ، شخصيا ، فى كثير من الأحيان اشك فى كل شىء . لا تفش هذا السر لأحد . أشك فى فائدة الحياة ، فى معنى الحياة ، فى قيمى ، فى كل المذاهب الجدلية . لم أعد أدرى بماذا أستمسك ، فربما لا توجد حقيقة ولا توجد رحمة . ولكن ، فى هذه الحال ، كن فيلسوفا حكيما : فاذا كان الكل باطلا ، اذا كانت الرحمة باطلا ، فإن الجريمة أيضا باطل .. وتكون غبيا لو انك — وأنت تعلم أن كل شىء مجرد تراب — او انك جعلت للجريمة قيمة ، لأنك بهذا تجعل للحياة قيمة .. وبهذا تأخذ الدنيا ماخذ الجد .. واذا بك هكذا تتخبط فى التناقض مع نفسك . (**ضحكة عصبية من بيرانجيه .**) ما رأيك ؟ كلام واضح ، منطقى ، ها أنا ذا قد غلبتك . وفى هذه الحال ، انت شخص تافه ، ضعيف العقل ، مسكين . ومنطقيا يحق للناس أن يهزأوا بك ؟ هل تريد أن يهزأ بك الناس ؟ طبعا لا . طبعا لديك شعور بالكرامة ، واحساس بقدر ذكائك . وليس يضايق

الانسان شيء مثل الحماقة . انها أشد توريطا للانسان من الاجرام ، حتى الجنون له هالة تحيط به . وأما أن تكون أحمق أبله ، من يستطيع أن يقبل هذا ؟ (**ضحكة صفراء من السفاح .**) سوف يشير اليك كل الناس بأصابعهم ، قائلين : ها ! ها ! ها ! (**ضحكة صفراء من السفاح ، يظهر تقهقر بيرانجيه بوضوح متزايد .**) ها هو ذا العبيط ، ها هو ذا العبيط ! ها ! ها ! ها ! (**ضحكة صفراء من السفاح .**) انه يقتل الناس ، انه يتعب نفسه ، ها ! ها ! ها ! ولا يستفيد من ذلك ، ولا ينال أى شيء .. ها ! ها ! هل تريد أن يقول بشيء ما ، « يؤمن » بالجريمة ؟ العبيط . ها ! ها ! ها ! (**ضحكة بيرانجيه تجدد فجأة .**) أجب ! هذا ما سيقوله الناس هذا ؟ أن يعتبروك مغفلا ، مثاليا ، ملهما « يؤمن » الناس ، لو بقى من الناس أحد ليقول .. (**بيرانجيه يلوى يديه ، ويضمهما ، ويتوسل ، ويركع أمام السفاح .**) لست أدرى الآن ماذا أقول لك . لاشك أننا أخطأنا مرارا فى حقك . (**ضحكة صفراء من السفاح .**) وربما لم نخطيء فى حقك أبدا . (**نفس الضحكة .**) لا أدرى . قد يكون الذنب ذنبى ، وقد يكون ذنبك ، وقد لايكون ذنبى أو ذنبك . قد لا يوجد ذنب على الاطلاق . ان الذى نفعله قد يكون شرا ، وقد يكون خيرا ، وقد لايكون خيرا أو شرا . لست أدرى كيف احكم . من المحتمل الا تكون لحياة الجنس البشرى اية أهمية ، ولا لفنائه بالتالى .. وربما لم تكن للكون بأكمله اية فائدة ، فأنت على حق عندما تريد أن تنسفه ، أو أن تقرضه على الاقل ، مخلوقا بعد مخلوق ، قطعة بعد قطعة .. وربما يجب عليك ألا تفعل ذلك . أنا لست أدرى الآن شيئا ، أنا لست ادرى الآن شيئا . ربما كنت مخطئا ، وربما ليس للخطأ وجود ، وربما كنا نحن المخطئين لأننا

نريد الوجــود .. أين . ماهو رأيك ؟ أنا لا أدرى ، أنا لا أدرى . (**ضحكة صفراء من السفاح .**) ان الوجود ــ فى نظر بعضهم ــ شذوذ . (**ضحكة صفراء من السفاح .**) أو ليست الأسباب التى تذكرها قنــاعا يخفى الاســباب الحقيقية التى تحجبهــا أنت عن نفسك دون وعى ؟ من يدرى ! فلنمسح عن اللوح كل ما تفش عليه . فلننس ما سبق أن أحدثتــه من شــقاء .. (**ضـــحكة صــفراء من السفاح .**) هل توافق ؟ انك تقتل بلا سبب ، وفى هــذه الحال أدعوك ، بلا سبب اتوســل اليك ، نعم ، توقف عن ذلك .. ليس لهذا سبب ، طبعا ، ولكن فى الواقع ما دام قتل الناس أو عدم قتلهم بلا سبب ، فتوقف . انك تقتل ن أجل لا شىء ، فأبق على الناس من أجل لا شىء . دع لناس آمنين ، يعيشوا فى غباء ، دعهم جميعا ، حتى رجال الشرطة ، وحتى .. عدنى بذلك ، توقف ولو لمدة شهر .. انى أتضرع اليك ، لمدة أسبوع ، ثمان وأربعين ساعة ، لكى يتنفس الناس .. انك ترضى ، أليس كذلك ؟.. (**السفاح لا يكاد يضحك ضحكته المعهودة ، وانما يخرج من جيبه ، فى بطء شديد ، سكينا ذات نصل كبير لامع ، ويعبث بها .**) وغد ! خسيس ! مغفل سفاح ! انك أقبــح من ضــفدعة سامة ! وأضرى من نمر ، وأغبى من حمــار .. (**يضحك السفاح ضحكة صفراء خفيفة**) لقـــد ركعت .. نعم ، لا لأستعطفك . (**نفس الحركة من السفاح**) بل لكى أحسن التصويب اليك .. سأصرعك ، وبعد ذلك سأدوسك بقدمى ، سأسحقك ، يا منتن ، يا جيفة ابن آوى ! (**يخرج بيرانجيه من جيبه مسدسين ، ويصوبهما نحو الســفاح ، الذى لا يتحرك قيد أنملة .**) سأقتلك ، ســتكفر عن سـيئاتك ، وسأواصل اطلاق الرصاص عليك ، ثم سأشنقك ، واقطعك اربا اربا ، والقى رفاتك فى جهنم مع النفايات التى جبلت

منها ، يا قيء كلب الشيطان الأجرب ، أيها المجرم الأبله .. **(السفاح يواصل اللعب بنصل سكينه ، تصدر عنه ضحكة صفراء خفيفة ، وهو جامد لا يكاد يهز كتفيه .)** لا تنظر الى هكذا ، انى لا أخشاك ، يا عار الخليقة .. **(بيرانجيه يصوب مسدسه نحو السفاح القائم على بعد خطوتين منه لا يتحرك والذا يرفع وئيدا سكينه .)** أوه .. ما أضعف قوتى ازاء تصميمك البارد ، ازاء قسوتك التى لا ترحم !.. وماذا تستطيع طلقات الرصاص نفسها ضد طاقة عنادك اللانهائية ؟ **(وثبة .)** ولكننى سأنالك .. **(ثم من جديد ، أمام السفاح الذى يشهر سكينه ، ويرسل ضحكته الصفراء دون أن يتحـرك ، يخفض بيرانجيـه ببطء مسدسيه العتيقين ، ويضعهما على الأرض ، ويحنى رأسه ، ثم يردد وهـو راكع ، مطـأطئ الـرأس ، مرتخى الذراعين ، فى اضطراب :)** يا الهى ، لا يمكن أن يفعل المرء أى شىء !.. وماذا يستطيع المرء أن يفعـل ؟.. ماذا يستطيع المرء أن يفعل ؟..

(ستار)

سلسلة « مطبوعات كتابى »

الترجمة الكاملة الأمينة لشوامخ الكتب العالمية

قدمت لقراء العربية فى أعدادها التى صدرت حتى الآن — وعددها سبعون كتابا ، وكتابان من الحجم الكبير ، خارج السلسلة — الكتب التالية ، **(وتستطيع أن تستكمل ما ينقص مجموعتك منها من ادارة كتابى بالقاهرة : عمارة الجندول ، ١٤ شـارع ٢٦ يوليـو ، شـقة ١٤ — تليفون ٥٩٥٥٦ ، ٤٦٤٧٥) :**

من شوامخ الأدب الانجليزى

رقم العدد	عنوان الكتاب	اسم المؤلف
١	قصة مدينتين	تشارلز ديكنز
٢	ذات الثوب الأبيض	ويلكى كولينز
٤	الخاطئة (القناع الملون)	سومرست موم
١٥ ، ١٦ ، ١٧	جين اير (٣ أجزاء)	شارلوت برونتى
٢١	فرنسا الجريحة على ضفاف النيل	ادوين جون ديفيز
٢٤ ، ٢٥ ، ٢٦	بيللا دونا (٣ أجزاء)	روبرت هتشنز
٣٩ ، ٤٠	المسبحة (جزءان)	فلورنس باركلي

٤٤	أرواح هائمة	سومرست موم
٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧	القلعة (٣ أجزاء)	دكتور أ.ج. كرونين
٤٩ ، ٥٠ ، ٥١	مرتفعات ويذرنج	اميلى برونتى

من شوامخ الأدب الفرنسى

٥ ، ٦	حياة امرأة	موباسان
٨	أوديب »	اندريه جيد
٩ ، ١٠	مدام بوفارى	فلوبير
٢٢	الابن الضال	هنرى بوردو
٢٨ ــ ٣٢	اعترافات جان جاك روسو (٥ أجزاء)	روسو
٣٤	ليالى بلزاك (قصص ماجنة)	بلزاك
٤١	سفينة الملذات	موريس دیكوبرا
٤٨	هل تحبين برامس	فرانسواز ساجان
٥٢ ، ٥٣	مدموازيل جوفر	مارسيل بريفو
٥٤	العذراء المفتونة	هنرى باتاى
٦٣	السحب الرائعة	فرانسواز ساجان
٦٤ ، ٦٥	الآلهة عطشى	أناتول فرانس

من شوامخ الأدب الأمريكى

من شوامخ الأدب الروسى

من شوامخ الآداب الأخرى

من الأدب الصينى :

٣٣ قصص من الصين — لوشون ، وآخرون

من الأدب التركى :

٤٣ تحت ظلال الليلا — مبرورة سامى

من الأدب الرومانى :

٧٠ قاتل بلا اجر — أوجين يونسكو

خارج السلسلة

دكتور جيفاجو (الترجمة الكاملة فى جزئين) — باسترناك

الجمعية التعاونية للبترول

ربع قرن فى خدمة الاقتصاد القومى

زيت التعاون المخصوص

للمحركات

"للخدمة الشاقة"

الجمعية التعاونية للبترول

بالقاهرة

فى جميع محطات الجمعية التعاونية للبترول



Bibliotheca Alexandrina
04476050